مبادرة الإصلاح العربي

التحولات الأمنية في جنوب سوريا:
السلطة والشبكات المسلحة والتدخل الأجنبي

عبدالله الجباصيني

BY NC SA

المحتويات

ملخص 5

مقدمة 6

العودة الهشة لنظام الأسد (2018-2024) 8

السيطرة المجزأة وهياكل السلطة المحلية 8

التدخل الأجنبي 9

العنف والأنشطة الإجرامية وعودة ظهور هيئة تحرير الشام 10

التعامل مع التحديات الأمنية الحالية 12

التدخل الإسرائيلي المستمر 13

العنف وحدود تفكيك الشبكات المسلحة 16

شبكات تهريب المخدرات المرنة 18

مفارقة التدخل الأجنبي 19

محادثات سورية-إسرائيلية بوساطة أمريكية 19

آفاق عودة روسيا إلى الجنوب 20

القيود الداخلية ومسارات الاستقرار 22

الخلاصة 22

ملخص

لطالما كان جنوب سوريا، المؤلف من محافظات القنيطرة ودرعا والسويداء، منطقة حدودية مضطربة. ومع انهيار نظام الأسد في 8 كانون الأول/ديسمبر 2024، ساد في البداية قدرٌ من التفاؤل بإمكانية استعادة الاستقرار، غير أن المنطقة ما لبثت أن دخلت في مرحلة من التحولات السياسية والأمنية العميقة. ويكشف النظر في سياق تاريخي أوسع أن العديد من التحديات الأمنية الراهنة في المنطقة الجنوبية ليست وليدة اللحظة، بل تعود جذورها إلى فترة الحرب وسياسات القمع والتلاعب التي اتبعها نظام الأسد بعد عودته إلى المنطقة في تموز/يوليو 2018، وإن كانت اليوم تتجلى بأشكال وأنماط يعاد تكوينها وإنتاجها. كما أن التدخل الأجنبي ليس مستجدًا، إذ مارست الجهات الفاعلة الإقليمية والدولية منذ زمن طويل تأثيرًا في الجنوب، ما فاقم حالة عدم الاستقرار فيه.

في هذا السياق التاريخي والجيوسياسي، وبالاعتماد على نهج بحثي مختلط يتضمن مقابلات مع مجموعة متنوعة من الفاعلين المحليين، إضافة إلى مجموعتين من البيانات الأصلية توثقان الجماعات المسلحة والحوادث العنيفة، تقدّم هذه الورقة البحثية تحليلًا دقيقًا وسياقيًا للديناميات الأمنية المعقدة في محافظات درعا والقنيطرة والسويداء. تسعى الورقة إلى تحقيق ثلاثة أهداف رئيسة. أولاً، تقديم نظرة تاريخية عامة عن البيئة الأمنية في ظل نظام الأسد، منذ عودته إلى المنطقة في عام 2018 حتى انهياره في كانون الأول/ديسمبر 2024. ثانيًا، استعراض التحديات الأمنية الحالية في المحافظات الثلاث خلال المرحلة الانتقالية السياسية في سوريا، مع تركيز خاص على أشكال التدخل الإسرائيلي وتأثيراته، والأسباب الكامنة وراء العنف وأنماطه، والظروف التي تسهل استمرار تهريب المخدرات من جنوب سوريا إلى الأردن. ثالثًا، استكشاف الحوافز والقيود والتفضيلات الاستراتيجية للجهات الفاعلة المحلية والإقليمية والدولية فيما يتعلق بنهجين خارجيين لتحقيق الاستقرار: إعادة انتشار محتملة للقوات الروسية في الجنوب، وآفاق التوصّل إلى اتفاق أمني سوري-إسرائيلي بوساطة أمريكية.

تكشف نتائج البحث أن المشهد الأمني في درعا والقنيطرة والسويداء يتشكل بقدر متقارب بفعل العوامل المحلية والخارجية وأنماط سلطة الدولة. ويعيد التدخل الإسرائيلي رسم البيئة الأمنية، ويقيد سلطة الدولة، ويمكّن الفاعلين المحليين. في ظل هذا المشهد المجزأ، تعكس عودة العنف تفاعلاً بين إرث الحرب، والتنافسات العالقة، والشبكات المسلحة المرنة، وانتشار الأسلحة. وتواجه جهود الدولة الرامية لتفكيك الشبكات المسلحة وفرض سيطرتها تحديات كبيرة؛ ففي بعض الحالات، تظل التدخلات محدودة، أو تولّد مظالم، أو تثير مقاومة محلية. في الوقت نفسه، تستغل شبكات تهريب المخدرات ضعف حضور الدولة، وتوافر مخزونات المخدرات، وأساليب التهريب القابلة للتكيف، للحفاظ على عملياتها عبر الحدود إلى الأردن. ولا يزال التدخل الأجنبي عاملاً حاسمًا، إذ يولّد عدم الاستقرار من جهة، ويعيد تشكيل أي نهج مقترح لتحقيق الاستقرار، من جهة أخرى. وفي هذا السياق، توفر المحادثات الإسرائيلية-السورية برعاية أمريكية وإعادة انتشار محتملة للقوات الروسية فرصًا للحد من التقلبات في جنوب سوريا، لكن كلاهما يورث اعتمادًا على الوساطة الخارجية ويؤثر في ممارسة سلطة الدولة. تنتج هذه الديناميات المتداخلة بيئة بالغة الاضطراب، يعزز في ظلها كل عامل العوامل الأخرى، بما يجعل تحديات تحقيق الاستقرار خلال المرحلة الانتقالية مستمرة ومستعصية.

مقدمة

لطالما كان جنوب سوريا، المؤلف من محافظات القنيطرة ودرعا والسويداء، منطقة حدودية مضطربة. فبعد اندلاع الثورة السورية في آذار/مارس 2011 وما أعقبها من عسكرة، تكبّد نظام الأسد خسائر إقليمية كبيرة في درعا والقنيطرة، حيث فرضت جماعات المعارضة المسلحة سيطرتها على مساحات شاسعة من المحافظتين. أما في السويداء، ذات الغالبية الدرزية، فقد حافظ أبناؤها على موقفٍ محايد إلى حد كبير، ما حدّ من قدرة النظام على فرض سيطرته الكاملة وأتاح ظهور درجة من الاستقلالية، وإن تخللتها أحياناً فترات من تصاعد التوتر. وجاءت عودة النظام في تموز/يوليو 2018، بدعم من روسيا وإيران، لتدشن مرحلة جديدة اتسمت المحافظات الثلاث خلالها بمجموعة من السمات المشتركة، أبرزها ضعف سيطرة النظام، وتزايد التدخلات الأجنبية، ولا سيما من إيران وروسيا وإسرائيل، الى جانب انتشار الأسلحة والجماعات المسلحة، واندلاع أعمال عنف متفرقة، وتوسع الأنشطة الإجرامية، وظهور أنماط متقطعة من حركات المقاومة المدنية ضد النظام. في كثير من النواحي، عكست المنطقة الحدودية الجنوبية صورة مصغرة لتفكك البلاد، حيث طغت على الحياة اليومية الفوضى والعنف وعدم اليقين. وفي السنوات الأخيرة من حكم نظام الأسد، بات الجنوب السوري رقعة مبرقشة من مساحات التنازع، تعايش فيها الإكراه والمقاومة والتفاوض.

حين شنت هيئة تحرير الشام هجومًا عسكريًا حاسمًا ضد النظام في أواخر تشرين الثاني/نوفمبر 2024، توحّدت العديد من الجماعات المسلحة المحلية في درعا والسويداء والقنيطرة تحت مظلة غرفة عمليات الجنوب، وتمكنت من القضاء على ما تبقى من سيطرة النظام في المنطقة. وافتتح انهيار نظام الأسد في 8 كانون الأول/ديسمبر 2024 فصلاً جديدًا في الجنوب السوري. ورغم أن نهاية الحكم الاستبدادي أثارت آمالًا بإمكانية تحقيق الاستقرار، سرعان ما واجه الجنوب مجموعة معقّدة من التحديات السياسية والأمنية.

ففي القنيطرة، يسفر الوجود العسكري الإسرائيلي في مواقع استراتيجية متعددة، إلى جانب التوغلات البرية والدوريات المنتظمة، عن نمط من السيطرة غير المتكافئة للدولة. وفي درعا، تغذّي فوضى السلاح والشبكات المسلحة المرنة العنف المتقطع، فيما جعل الوجود الإسرائيلي المحدود في حوض اليرموك، والتهديد بشن غارات جوية محددة الأهداف لفرض نزع السلاح، سلطة الدولة لا هي بالمستتبة كليًا ولا هي بالمُسلَّم لها. وفي السويداء، أثارت محاولات الدولة لتعزيز سيطرتها مقاومة صريحة من قبل الجماعات المسلحة الدرزية وتدخلاً رادعًا من قبل إسرائيل. وأسفرت الاشتباكات التي تلت ذلك في تموز/يوليو 2025، والتي اتسمت بمواجهات دامية وعمليات قتل خارج نطاق القضاء وتهجير للمدنيين، عن تقليص سلطة الدولة الفعلية الى نطاق محدود في معظم أنحاء المحافظة. وقد أتاح ضعف سيطرة الدولة في أجزاء من جنوب سوريا الشبكات الإجرامية اللامركزية، بعدما توقفت مؤقتاً عن العمل بعد سقوط النظام السابق، من استئناف تهريب المخدرات إلى الأردن. وعليه، يكشف الوضع الراهن في الجنوب عن بيئة مجزأة ومتقلبة يتعيّن على السلطات الجديدة التعامل معها، وهي بيئة لها جذور تاريخية تتطلب تحليلاً دقيقًا وسياقيًا لفهمها ومعالجتها.

يُظهر النظر في سياق تاريخي أوسع أن العديد من التحديات الأمنية في المنطقة الجنوبية اليوم ليست حديثة، بل تضرب جذورها بعمق في فترة الحرب وسياسات القمع والتلاعب التي أتبعها نظام الأسد بعد عودته إلى المنطقة، ولئن تتبدى بعد انهياره بأشكال وأنماط يعاد تشكيلها وتكوينها. وبالمثل، ليس التدخل الأجنبي ظاهرةً حديثة العهد. فقد مارست الجهات الفاعلة الإقليمية والدولية منذ فترة طويلة تأثيرًا في الجنوب وفي بعض الأحيان فاقمت حالة عدم الاستقرار فيه. ويخلق هذا الواقع معضلة بنيوية يواصل بها التدخل الخارجي – على الرغم من زعزعته المحتملة للاستقرار – أداء دور مركزي في أي نهج مقترح لتحقيق الاستقرار في الجنوب السوري بعد الأسد.

في هذا السياق التاريخي والجيوسياسي، تسعى هذه الورقة البحثية الى توضيح المشهد الأمني في جنوب سوريا منذ عودة نظام الأسد في عام 2018 وحتى انهياره في كانون الأول/ديسمبر 2024. ومع مراعاة التباينات الزمنية والمكانية في محافظات القنيطرة ودرعا والسويداء، تركّز الورقة على دراسة التحديات الأمنية الراهنة، مع تركيز خاص على أشكال التدخل الإسرائيلي وتأثيراته، والأسباب الكامنة وراء العنف وأنماطه، والظروف التي تتيح استمرار تهريب المخدرات. كما تشكّل مفارقة التدخل الأجنبي في جنوب سوريا بعدًا تحليليًا مركزيًا، إذ تهدف الورقة إلى استكشاف الحوافز والقيود والتفضيلات الاستراتيجية للجهات الفاعلة المحلية والإقليمية والدولية ذات الصلة، خصوصًا فيما يتعلق بإعادة انتشار محتملة للقوات الروسية في الجنوب، واحتمالات التوصل إلى اتفاق أمني سوري-إسرائيلي بوساطة أمريكية.

تستند هذه الورقة البحثية إلى أبحاث سابقة مكثفة أجراها

الخريطة 1 : جنوب سوريا

المؤلف حول ديناميات الأمن على المستوى الجزئي والإقليمي في الجنوب السوري أثناء فترة الحرب وما بعدها. وتعتمد الورقة نهجًا بحثيًا مختلطًا، يدمج الأدلة النوعية والكمية. يستند التحليل النوعي إلى مقابلات مع مجموعة متنوعة من الجهات الفاعلة المحلية منذ عام 2018، من بينها مدنيين ونشطاء وقادة جماعات مسلحة، ويستفيد من أبحاث سابقة لمتخصصين في المنطقة، إلى جانب تغطية من وسائل إعلام سورية وإقليمية ودولية. يستند التحليل الكمي إلى مجموعتين من البيانات الأصلية جمعهما المؤلف: الأولى توثق هيكلية أكثر من 200 جماعة مسلحة في محافظة درعا بين عامي 2018 و2024، بما يشمل أفرادها وانتماءاتها ومناطق عملياتها؛ أما المجموعة الثانية فتتبع منهجيًا أكثر من 5000 حادث عنيف في درعا (من تموز/يوليو 2018) والقنيطرة (من كانون الأول/ديسمبر 2024)، مع تسجيل الأطراف الفاعلة المعنية، إذا أمكن ذلك، والتوزيع المكاني والزماني، والشدة، والحجم، والوفيات والإصابات المرتبطة بكل حادث عنيف.

تكشف نتائج البحث أن المشهد الأمني في درعا والقنيطرة والسويداء يتشكل بقدر متقارب بفعل العوامل المحلية والخارجية وأنماط سلطة الدولة. ويؤثر التدخل الإسرائيلي في البيئة الأمنية، ويقيد سلطة الدولة، ويمكّن الجهات الفاعلة المحلية. في ظل هذا المشهد المجزأ، تعكس عودة العنف تفاعلاً بين إرث الحرب، والتنافسات العالقة، والشبكات المسلحة المرنة، وانتشار الأسلحة. وتواجه جهود الدولة لتفكيك الشبكات المسلحة وفرض سيطرتها تحديات كبيرة؛ ففي بعض الحالات، تكون التدخلات محدودة، أو تولّد مظالم، أو تثير مقاومة محلية. وفي الوقت نفسه، تستغل شبكات تهريب المخدرات المسلحة ضعف حضور الدولة، ومخزونات المخدرات، وأساليب التهريب القابلة للتكيف، للحفاظ على عملياتها عبر الحدود إلى الأردن. ولا يزال التدخل الأجنبي عاملاً حاسمًا، إذ يولّد عدم الاستقرار من جهة، ويعيد تشكيل أي نهج مقترح لتحقيق الاستقرار من جهة أخرى. في هذا السياق، توفر المحادثات الإسرائيلية-السورية برعاية أمريكية وإعادة انتشار محتملة للقوات الروسية فرصًا للحد من التقلبات، لكن كلاهما يعزز الاعتماد على جهات خارجية ويؤثر في ممارسة سلطة الدولة. تنتج هذه الديناميات المتداخلة بيئة بالغة الاضطراب، يعزز فيها كل عامل العوامل الأخرى، فتظل التحديات أمام تحقيق الاستقرار ماثلة ومستعصية طوال المرحلة الانتقالية.

تتكون هذه الورقة من الأقسام التالية: يقدم القسم الأول لمحة تاريخية عن الوضع الأمني في الجنوب السوري من عام 2018 إلى عام 2024. ويبحث القسم الثاني التحديات الأمنية في المنطقة منذ كانون الأول/ديسمبر 2024. ويحلل القسم الثالث مفارقة التدخل الأجنبي في جنوب سوريا، مع التركيز على المحادثات الأمنية السورية-الإسرائيلية برعاية أمريكية وإعادة انتشار القوات الروسية المحتملة. تلخص الخاتمة النتائج وتقيّم احتمالات تحقيق الاستقرار.

العودة الهشة لنظام الأسد (2018-2024)

منذ عودة نظام الأسد إلى الجنوب السوري في تموز/يوليو 2018، اتسمت المنطقة بالفوضى وعدم الاستقرار. وشهدت القنيطرة ودرعا والسويداء تفاعلاً معقدًا بين ضعف سيطرة النظام والتدخلات الأجنبية وانتشار الجماعات المسلحة المحلية والشبكات الإجرامية الناشئة. وقد أفرز هذا مشهدًا متعدد الطبقات تتعايش فيه السلطة والتفاوض والمقاومة.

السيطرة المجزأة وهياكل السلطة المحلية

في تموز/يوليو 2018، استعاد نظام الأسد، بدعم من إيران وروسيا، أجزاء من الجنوب السوري كان قد خسرها لصالح المعارضة المسلحة بعد عام 2011، من خلال مزيج من القوة العسكرية ومفاوضات توسطت فيها روسيا.[1] في القنيطرة، أُجبرت جماعات المسلحة المعارضة على الاختيار بين المصالحة أو التهجير إلى إدلب في شمال غرب سوريا.[2] وبذلك استعاد النظام السيطرة الكاملة على الأراضي الواقعة شرق المنطقة المنزوعة السلاح التي تراقبها قوة الأمم المتحدة لمراقبة فض الاشتباك (الأندوف).[3] ومع ذلك، ظلت سيطرة النظام موضع نزاع، فقد واصلت بقايا المعارضة المسلحة الصغيرة العمل سرًا في المنطقة، وشنت هجمات متفرقة، قوضت جهود النظام لإعادة تأكيد سلطته وترسيخ سطوته الأمنية.[4]

وقد حدثت عملية مماثلة، ولكنها أعقد، في محافظة درعا. فحين كان النظام يتقدم عسكريًا ويستعيد السيطرة على الأراضي، تدخلت روسيا للتوسط في التوصل إلى تسويات. صاغت روسيا هذا النهج القائم على الحوار استجابةً للمخاوف التي أعربت عنها كل من إسرائيل والأردن بشأن احتمال تدفق القوات الإيرانية والقوات المدعومة من إيران إلى المنطقة الحدودية.

أفرزت عملية عودة النظام، التي كانت متوازية ولكن غير مترابطة، أنماطًا متفاوتة من السيطرة. ففي المناطق التي استعادها النظام مباشرة بالقوة العسكرية، تمكن من إعادة فرض سيطرته الأمنية. على النقيض من ذلك، في المناطق التي جرى التوصل فيها إلى اتفاقات مصالحة، ظلت سلطة النظام محدودة، إذ أعادت الاتفاقات المؤسسات الحكومية ولكنها قيدت وجود القوات العسكرية والأجهزة الأمنية.[5] وقد صُمم هذا التقييد عمدًا من قبل روسيا لمعالجة مخاوف إسرائيل والأردن، والحد من نفوذ النظام، وبالتالي كبح نفوذ إيران في المنطقة الحدودية. وقد خلق هذا التفاوت في سيطرة النظام مجالاً لظهور مراكز قوة محلية جديدة نافست النظام بوسائل عنيفة وغير عنيفة.

في مدينة طفس غرب درعا ومنطقة درعا البلد في مدينة درعا، ظهرت هيئتان متميزتان تعرفان بلجنة التفاوض المركزية. تألفت هذه اللجنة من شخصيات مدنية معارضة وقادة فصائل مسلحة اجتمعوا بناءً على مركزهم ورصيدهم الاجتماعي ليكونوا الهيئة التمثيلية الرئيسة للمنطقة وسكانها أمام النظام وروسيا.[6] في المنطقة الشرقية من درعا، ظهر فاعل مختلف سيطر على المشهد. في تشرين الأول/أكتوبر 2018، أنشأت روسيا اللواء الثامن في مدينة بصرى الشام وعهدت بقيادته إلى أحمد العودة، القائد السابق لجماعة المعارضة المسلحة المعروفة بـ«قوات شباب السنة». وقد لعب اللواء الثامن دورًا أساسيًا في إدارة الشؤون الأمنية المحلية والقيام بأعمال عنف محدودة ومضبوطة غايتها تقييد سلطة النظام.[7] ومع ذلك، بدأت الرعاية الروسية تتدهور، أولاً في عام 2021 حين رفض اللواء الثامن القتال إلى جانب الجماعات المدعومة من إيران ضد تنظيم الدولة الإسلامية في البادية، ما حدا بروسيا إلى نقل سجلاته وتبعيته إلى شعبة المخابرات العسكرية،[8] ثم في عام 2022، حين رفض طلبًا من الضباط الروس للمشاركة في الحرب في أوكرانيا.[9]

على عكس محافظتي درعا والقنيطرة، اتبعت محافظة السويداء في البداية مسارًا مختلفًا. حين اندلعت الثورة في عام 2011، حافظ السكان الدروز، الأغلبية السكانية في

1 Abdullah Al-Jabassini, From Rebel Rule to a Post-Capitulation Era in Daraa Southern Syria: The Impacts and Outcomes of Rebel Behaviour During Negotiations, European University Institute, January 2019, https://tinyurl.com/23b63dr7

2 عنب بلدي، «اتفاق محافظة القنيطرة يعزز «حماية» الحدود الإسرائيلية»، 25 تموز/يوليو 2018، متاح على:

https://tinyurl.com/5n97j6vf

3 مقابلة مع ناشط محلي، القنيطرة، أيلول/سبتمبر 2018.

4 تلفيزيون سوريا، «مجهولون يغتالون قائد مجموعة تابعة لـ «حزب الله» في القنيطرة»، 10 تموز/يوليو 2022، متاح على:

https://tinyurl.com43/f38v34

عنب بلدي، «القنيطرة.. أم باطنة أمام خيارين وجهود لإيجاد بديل»، 29 أيار/مايو 2021، متاح على:

https://inyurl.com544/cwvbw

5 Abdullah Al-Jabassini, From Rebel Rule to a Post-Capitulation Era in Daraa Southern Syria.

6 Abdullah Al-Jabassini, "From Rebel Leaders to Post-War Intermediaries: Evidence from Southern Syria", *Small Wars & Insurgencies* 35, no. 4 (February 2024): 656–77, https://doi.org/10.1080/09592318.2024.2312626

7 Abdullah Al-Jabassini, *The Eighth Brigade: Striving for Supremacy in Southern Syria*, European University Institute & Geneva Centre for Security Policy, 2020, https://tinyurl.com/nfp5n2tr

8 مقابلة مع قائد في اللواء الثامن، آذار/مارس 2022.

9 المدن، «اللواء الثامن يرفض المشاركة بالحرب الأوكرانية..رغم الترهيب الروسي»، 25 آذار/مارس 2022، متاح على:

https://tinyurl.com/msxy2tx6

مقابلة مع ناشط محلي في مدينة بصرى الشام، آذار/مارس 2022.

المحافظة، على موقف محايد إلى حد كبير.[10] أسفر ذلك عن صدع عميق في العلاقة مع نظام الأسد، إذ رفض آلاف الشبان الدروز التجنيد العسكري.[11] ومن هذا الوضع نشأت حركة رجال الكرامة في عام 2012، على يد الشيخ وحيد البلعوس، بهدف حماية الفارين من التجنيد والدفاع عن المنطقة من التهديدات الخارجية.[12] تدريجيًا، ضعفت سيطرة النظام على السويداء، وبالتالي، تحول نهجه تجاه المحافظة من الاحتواء والقمع إلى استراتيجية الإهمال بعد عام 2018.[13] لكن هذا الإهمال أسهم في تجدد التحشيد المدني ضد النظام. فظهرت احتجاجات العام 2022،[14] واتسعت بشكل أكبر في آب/أغسطس 2023 بعد فترة خمود.[15] وما بدأ كاحتجاجات على قرار الحكومة برفع أسعار الوقود والاستياء الاقتصادي العام تحول سريعًا إلى تحد سياسي صريح،[16] إذ هتف المتظاهرون الدروز والبدو بشعارات مناهضة للأسد وطالبوا بانتقال سياسي يتوافق مع قرار مجلس الأمن الدولي رقم 2254.[17]

التدخل الأجنبي

بعد عودة نظام الأسد إلى جنوب سوريا، ظهر التدخل الأجنبي كعامل رئيسي أسهم في زعزعة الاستقرار في المنطقة. في القنيطرة، سعت إيران إلى تعزيز موطئ قدم لها بالاستفادة من شبكاتها القائمة مسبقًا، والتضاريس الوعرة في المنطقة، وقربها من لبنان وهضبة الجولان.[18] وقد كان لقلة عدد سكان المنطقة والتوترات الطائفية بين الأقليات الدرزية والمسيحية والأغلبية السنية المعارضة للنظام دورٌ في تمكين الميليشيات الإيرانية من إرساء نفوذ في المحافظة.[19]

وللحد من تجاوزات إيران وطمأنة إسرائيل، أقامت روسيا مراكز مراقبة مزودة بشرطة عسكرية.[20] بيد أن قدرة روسيا على تقييد عودة إيران إلى القنيطرة ظلت محدودة. وردًا على ذلك، شنت إسرائيل حملة ردع حثيثة، تراوحت بين توزيع منشورات تحذر السكان المحليين من التعاون مع وكلاء إيران، إلى شن ضربات دقيقة مباشرة تهدف إلى تحييد التهديدات الحدودية.[21] أما إيران، فظل تعزيز وجودها بالقرب من هضبة الجولان ضرورة استراتيجية تحسبًا لمواجهة محتملة مع إسرائيل. وبالفعل، بعد حرب غزة عام 2023، استخدمت وكلاء إيران المنطقة لشن هجمات صاروخية على هضبة الجولان.[22] ولمنع المزيد من التصعيد، زادت روسيا، بعد أن تضاءل نفوذها في الجنوب بعد حربها في أوكرانيا عام 2022، من حضور شرطتها العسكرية،[23] وواصلت إسرائيل شن ضربات مباشرة،[24] وتنفيذ توغلات برية،[25] وإنشاء

10 Mahmoud Al-Lababidi, *The Druze of Sweida: The Return of the Regime Hinges on Regional and Local Conflicts*, European University Institute, 2019, https://tinyurl.com/5aja382b

11 المرجع نفسه.

12 مازن عزي، «البلعوس: قصة اغتيال معلن»، المدن، 7 أيلول/سبتمبر 2015، متاح على:

https://tinyurl.com58/mtfc7s

13 Mazen Ezzi, "The Regime's Reach: Analyzing Damascus' Approach to Suwayda After 2011", Friedrich-Ebert-Stiftung, December 2024, https://tinyurl.com/2z64uhnr

14 السويداء 24، «السويداء: احتجاجات تنتهي ب 18 مصابًا وقتيلين»، 12 نيسان/أبريل 2022، متاح على:

https://bit.ly4/i13zTf

15 المدن، «السويداء: ميدان الكرامة يغص بالمتظاهرين ضد الأسد»، 22 آب/أغسطس 2023، متاح على:

https://tinyurl.com39/uxkerj

16 الشرق الأوسط، «مظاهرات وعصيان مدني في السويداء احتجاجًا على غلاء الأسعار»، 18 آب/أغسطس 2023، متاح على:

https://tinyurl.com562/zwr2n

17 الشرق الأوسط، «دائرة احتجاجات السويداء تتسع بانضمام عشائر البدو، دمشق تسعى لاحتوائها»، 24 آب/أغسطس 2023، متاح على:

https://tinyurl.com/yc5jpvrz

سيريا أنتولد، «احتجاجات السويداء: من أول الخبز حتى آخر الحريّة»، 29 أيلول/سبتمبر 2023، متاح على:

https://tinyurl.com/yrh7jwbd

جسر برس، «احتجاجات السويداء مستمرة وتؤكد ضرورة تطبيق القرار الدولي 2254»، 3 تشرين الأول/أكتوبر 2023، متاح على: https://tinyurl.com4/pudnzfb

18 شبكة شام، «نتنياهو يقر بضربة إسرائيلية استهدفت مواقع إيرانية في القنيطرة جنوب سوريا»، 13 شباط/فبراير 2019، متاح على:

https://tinyurl.com/yffty79t

19 Armenak Tokmajyan and Kheder Khaddour, "Why Iranian Entrenchment in Southern Syria Worries Neighboring Countries", Carnegie Endowment for International Peace, 21 March 2024, https://tinyurl.com/4kwueers

20 العربي الجديد، «روسيا تبدأ نشر شرطتها العسكرية في الجولان»، 10 أغسطس 2018، متاح على:

https://tinyurl.com365733/f6

21 عنب بلدي، «إسرائيل تلقي منشورات في القنيطرة ضد «حزب الله» وضباط «اللواء 90»»، 27 أيار/مايو 2021، متاح على:

https://bit.ly4/oEEH66

شبكة شام، «غارة اسرائيلية تستهدف عميل لحزب الله الإرهابي في القنيطرة»، 6 تموز/يوليو 2022، متاح على:

https://bit.ly4/pbph9h

22 تجمع أحرار حوران، «إيران تجرّ الجنوب السوري للدمار.. إسرائيل تحذر والنظام غائب عن المشهد»، 14 كانون الأول/ديسمبر 2023، متاح على:

https://bit.ly3/LGNOVt

23 Enab Baladi, "Russia in Syria: Monitoring the South and Attacking the North", 28 October 2024, https://tinyurl.com/eh7nudw9

24 Anadolu Agency, "Israeli Army Says It Killed Hezbollah Fighter in Southwestern Syria", 10 October 2024, https://tinyurl.com/yttk6fze

25 Enab Baladi, "Israel Moves in Quneitra, Damascus Turns a Blind Eye", 28 October 2024, https://tinyurl.com/eh7nudw9

تحصينات دفاعية.[26]

في درعا، كان وجود إيران ونفوذها مقيدين بعدة عوامل. فقد عبّر السكان المحليين، وغالبيتهم من السنة، عن معارضتهم الشديدة لإيران وحزب الله من خلال الاحتجاجات والكتابات على الجدران.[27] في الوقت نفسه، دأبت شبكات المعارضة المسلحة الموجودة مسبقًا على استهداف واغتيال وكلاء إيران والمتعاونين المحليين معها، ما أشعل حملة استنزاف حدّت من حرية حركة إيران وأضعفت شبكاتها.[28] شكّل النفوذ الروسي، عبر اللواء الثامن، حاجزًا آخر أمام توسع النفوذ الإيراني في المنطقة. في مواجهة هذه البيئة معادية، عمل وكلاء إيران تحت غطاء الهيكل العسكري والأمني للنظام وسعوا إلى تجنيد متعاونين محليين من خلال تقديم حوافز متنوعة، من بينها الرواتب، والبطاقات الأمنية، والحماية من الاعتقال، والإعفاء من التجنيد الإجباري.[29]

أما السويداء، فلم يحمها غلبة الحياد على موقفها من التدخل الأجنبي. حين اندلعت الثورة في عام 2011، سعى كل من الموالين للنظام وأنصار المعارضة إلى التأثير في المشاعر المحلية، وهو استقطاب لم يقتصر انعكاسه في أوساط الهيئة الروحية للطائفة الدرزية، بل طال المنطقة ككل.[30] حث وليد جنبلاط، زعيم الدروز في لبنان، دروز السويداء على الانحياز إلى المعارضة العربية السنية ومواجهة نظام الأسد، أما دروز هضبة الجولان، فاتخذوا موقفًا معاكساً، خوفًا من صعود الفصائل الإسلامية السنية.[31] وجاء ضخ الدعم المالي والسياسي من شبكات الدروز اللبنانية والإسرائيلية المتنافسة ليعمّق الانقسامات، ويعقد الجهود الرامية إلى الحفاظ على موقف موحد داخل السويداء.[32]

اتبعت إيران، عبر حزب الله، استراتيجية تركز على الأمن في السويداء، مستغلة الصعوبات الاقتصادية لتجنيد وكلاء لها.[33] وفي أوقات أخرى، سعت إلى تأجيج التوترات بين السويداء ودرعا، كما في اشتباكات القريّا في عام 2020، حين سعى حزب الله إلى دعم الفصائل الدرزية المسلحة في اشتباكاتها مع اللواء الثامن.[34] وسعت إيران بذلك إلى إطالة أمد الاشتباكات المحلية لخلق حالة من عدم الاستقرار تبرر توسيع سلطة النظام، مع إضعاف اللواء الثامن وتأمين موطئ قدم في شرق درعا والوصول إلى بصرى الشام، المركز الرئيسي للشيعة في الجنوب السوري، التي منع اللواء الثامن سكانها الشيعة من العودة إليها.[35] على النقيض من ذلك، ركز نهج روسيا على تعزيز هياكل الدولة وهدف إلى تعزيز سلطة نظام الأسد الضعيفة في السويداء. فقد انصب تركيز روسيا منذ عام 2016 فصاعدًا على حل مشكلة المتخلفين عن الجيش ودمج الجماعات المسلحة المحلية في الفيلق الخامس التابع للجيش السوري.[36]

العنف والأنشطة الإجرامية وعودة ظهور هيئة تحرير الشام

أفرز التفاعل بين التشظي الإقليمي، ومراكز القوة المتنافسة، والتدخلات الأجنبية بيئةً مفعمة بالعنف في الجنوب السوري، حيث كان عدم الأمان وعدم اليقين والفوضى سمة الحياة اليومية. في القنيطرة، احتفظت الجماعات المسلحة المحلية، وجُلها من بقايا فصائل المعارضة المسلحة، بنفوذها لمنافسة سلطة النظام،[37] وشملت أعمال العنف اغتيالات موجهة لزعماء المعارضة السابقين،[38] وأفراد الجيش والأمن التابعين

26 Reuters, “Israel’s Demining Near Golan Signals Wider Front Against Hezbollah”, 15 October 2024, https://tinyurl.com/y2tczkc3

27 على سبيل المثال، في شهري تشرين الثاني/نوفمبر وكانون الأول/ديسمبر 2019، وقعت ما لا يقل عن 15 مظاهرة طالب فيها المتظاهرون بطرد حزب الله وإيران من درعا.

28 Abdullah Al-Jabassini, *Festering Grievances and the Return to Arms in Southern Syria*, European University Institute, April 2020, https://tinyurl.com/yc3myeu2

29 المرجع نفسه.

30 Shaykhs Hikmat al-Hajari, Mohammed Jarbou, and Hammoud al-Hinnawi adopted positions ranging from pro-regime to cautiously flexible to neutral, respectively. See: Mahmoud Al-Lababidi, *The Druze of Sweida: The Return of the Regime Hinges on Regional and Local Conflicts*.

31 مازن عزي، « دروز السويداء: جمر التنازع»، الجمهورية، 22 تموز/يوليو 2025، متاح على:

https://tinyurl.com4/bd8sfyh

32 Mahmoud Al-Lababidi, The Druze of Sweida: The Return of the Regime Hinges on Regional and Local Conflicts.

33 العربية، « إيران تشكل ميليشيا طائفية جديدة من دروز سوريا»، 24 آذار/مارس 2015، متاح على:

https://tinyurl.com3/rpnu3se

34 Abdullah Al-Jabassini and Mazen Ezzi, *Tribal ‘Sulh’ and the Politics of Persuasion in Volatile Southern Syria*, European University Institute, March 2021, https://tinyurl.com/2ty2hr9m

35 Abdullah Al-Jabassini, The Eighth Brigade: Striving for Supremacy in Southern Syria.

36 المدن، «السويداء: روسيا تسعى لضم قوات الفهد إلى الفيلق الخامس»، 12 تشرين الأول/أكتوبر 2018، متاح على:

https://tinyurl.com3/rkhzpkb

العربي الجديد، «وفد روسي جديد في السويداء لتسوية قضية المتخلفين عن الخدمة العسكرية»، 17 كانون الأول/ديسمبر 2020، متاح على:

https://tinyurl.com2/yurb6ps

37 مؤسسة نبأ الإعلامية، «مجموعة مقاتلة تمهل النظام ساعات للإفراج عن شاب في جباتا الخشب بالقنيطرة»، 18 أيار/مايو 2020، متاح على:

https://tinyurl.com/yfcufw7d

38 عنب بلدي، «القنيطرة.. أول اغتيال لقيادي سابق في «الجيش الحر» »، 19 آب/أغسطس 2020، متاح على:

https://tinyurl.com/m5t76yjb

للنظام،[39] وأعضاء الميليشيات.[40] أما درعا، فشهدت انتشارًا أكبر للاغتيالات وعمليات الخطف، وكان نطاق الضحايا واسعًا، شمل المدنيين العاديين، والمتعاونين مع إيران، وعناصر الأجهزة الأمنية والعسكرية التابعة للنظام، ومسؤولي حزب البعث، وأعضاء اللجان المركزية، وأفراد اللواء الثامن، إضافة إلى قادة المعارضة السابقين والمقاتلين. بين تموز/يوليو 2018 وأوائل كانون الأول/ديسمبر 2024، قُتل ما لا يقل عن 2500 شخص،[41] لتكون درعا واحدة من أكثر المحافظات اضطرابًا وانعدامًا للأمن في سوريا. في معظم الحالات، تسبّب عدم معرفة هوية المهاجمين في طمس الحدود بين الدوافع السياسية والجنائية والشخصية، ليصعّب على المرء تمييز الدوافع الحقيقية وراء العديد من حوادث العنف.[42] وقد تدهور الوضع الأمني بسبب عوامل أخرى متعددة، كانت في أغلب الحالات متضافرة، من أبرزها العمليات العسكرية للنظام، وغالبًا بدعم من إيران، لتفكيك شبكات المقاومة الحيوية،[43] وانتشار الجماعات المسلحة المحلية والتنافس فيما بينها، والاشتباكات العشائرية، والعمليات الأهلية ضد تهريب المخدرات والخلايا النائمة التابعة لتنظيم الدولة الإسلامية.[44]

في السويداء، ظهرت بعد عام 2011 ميليشيات موالية للنظام وعصابات إجرامية، استغلت حالة عدم الاستقرار للإنخراط في عمليات تهريب إلى مناطق سيطرة المعارضة في درعا.[45] بعد عودة نظام الأسد إلى جنوب سوريا، وسّعت العديد من هذه الجماعات نشاطها الإجرامي عبر علاقاتها مع أجهزة الأمن التابعة للنظام، شملت الخطف مقابل الفدية وتجارة المخدرات.[46] وفي الغالب، أصبحت عمليات الاختطاف متبادلة أو على شكل «خطف وخطف مضاد»، وامتدت عبر الحدود الإدارية، فأججت الخلافات بين الجماعات المسلحة من درعا والسويداء، ودفعت الجنوب، في مناسبات متعددة، إلى شفا الاقتتال الأهلي والطائفي.[47] بمرور الوقت، أصبح التفسخ الأمني ووفرة الأسلحة وانتشار الجماعات المسلحة والعصابات من السمات المميزة للسويداء. و أدى تدهور الوضع الأمني إلى قيام الفصائل المسلحة المحلية بدور أكثر حزمًا في مواجهة العناصر الإجرامية.[48]

أوجدت الفوضى وانتشار الجماعات المسلحة أرضيةً خصبة لازدهار الاقتصاد غير المشروع. فقد أصبحت درعا والسويداء، على وجه الخصوص، ممرات رئيسة لتهريب المخدرات إلى الأردن ومنه إلى الخليج. وبسبب ضعف سيطرته، عهد نظام الأسد بعمليات التهريب إلى جهات محلية، بما فيها خلايا تهريب ومجموعات بدوية تربطها علاقات عشائرية وعائلية عبر الحدود، فضلاً عن الجماعات المرتبطة بحزب الله والفرقة الرابعة في الجيش السوري والمخابرات العسكرية.[49] من جهتها، شكلت تجارة المخدرات وتهريب الأسلحة والتسلل المتقطع عبر الحدود تهديدًا أمنيًا متزايدا للأردن. وعلى الرغم من أن عمّان جددت علاقاتها مع نظام الأسد في عام 2021، بما تضمنه من إعادة فتح معبر نصيب-جابر الحدودي وتحسن طفيف في التجارة الثنائية، لم تنجح هذه الإجراءات في التخفيف من مخاوفها الأمنية.[50] ردًا على ذلك، اتخذ الأردن موقفًا أكثر حزمًا، فتعاون مع الفصائل المحلية في الجنوب، ونشر قوات عسكرية على طول حدوده الشمالية، ونفذ عمليات دقيقة عبر الحدود لمكافحة عمليات التهريب

39 المدن، «القنيطرة:مقتل ضابط وإصابة آخرين..بتفجير عبوات ناسفة»، 14 نيسان/أبريل 2023، متاح على:
https://tinyurl.com/mrj7t625

عنب بلدي، « مقتل عنصرين للنظام في القنيطرة برصاص مجهولين»، 23 كانون الأول/ديسمبر 2020، متاح على:
https://tinyurl.com32/jm5cpv

40 عنب بلدي، «مقتل عنصر من "الدفاع الوطني" بهجوم في القنيطرة»، 11 كانون الأول/يناير 2021، متاح على:
https://tinyurl.com/yrezt2xz

41 مجموعة بيانات خاصة عن العنف في محافظة درعا جمعها المؤلف منذ تموز/يوليو 2018.

42 Abdullah Al-Jabassini, *Understanding Violence in Postwar Southern Syria*, Friedrich-Ebert-Stiftung, 2024, https://bit.ly/3UA1Gm3

43 Abdullah Al-Jabassini, *Dismantling Networks of Resistance and the Reconfiguration of Order in Southern Syria*, European University Institute, October 2021, https://bit.ly/3BX1SzH

44 Abdullah Al-Jabassini, Understanding Violence in Postwar Southern Syria.

45 Nizar Ahmad, "Kidnapping for Ransom: Gangs Threaten Civil Peace in Sweida", European University Institute, March 2022, https://tinyurl.com/3cz3v6xb; Mahmoud Al-Lababidi, *The Druze of Sweida: The Return of the Regime Hinges on Regional and Local Conflicts*.

46 Joseph Daher, Nizar Ahmad, and Salwan Taha, *Smuggling between Syria and Lebanon, and from Syria to Jordan: The Evolution and Delegation of a Practice*, European University Institute, April 2022, https://tinyurl.com/bdzecybx

47 Abdullah Al-Jabassini and Mazen Ezzi, Tribal 'Sulh' and the Politics of Persuasion in Volatile Southern Syria.

48 تمام صيموعة، «راجي فلحوط ونهايته: عناصر رسمت المشهد الأخير الصراعات الأمنية السياسية وفعالية المجتمع المحلي»، الجمهورية، 8 آب/أغسطس 2022، متاح على:
https://tinyurl.com3/ywfwm5v

Abdullah Al-Jabassini and Mazen Ezzi, *Tribal 'Sulh' and the Politics of Persuasion in Volatile Southern Syria*.

49 Joseph Daher, Nizar Ahmad, and Salwan Taha, Smuggling between Syria and Lebanon, and from Syria to Jordan".

50 Reuters, "Arabs Ease Assad's Isolation as U.S. Looks Elsewhere", 11 October 2021, https://tinyurl.com/5axcfb9x; Reuters, "Jordan fully Reopens Border Crossing with Syria, Seeks Trade Boost", 29 September 2021, https://tinyurl.com/3t28nu28; Armenak Tokmajyan, "Jordan's Experiences Highlight the Limitations of Renewed Ties With Syria", Carnegie Endowment, 11 January 2023, https://tinyurl.com/4sewkwyw

و التسلل.[51]

في ظل هذا المناخ من الصراع على السيطرة، سعت هيئة تحرير الشام، عقب تهجير عدد كبير من قادتها ومقاتليها إلى إدلب في أعقاب عودة النظام في عام 2018، إلى استعادة نفوذها في الجنوب. في القنيطرة، عاد العديد من أعضاء الهيئة إلى المنطقة وأعادوا تنشيط شبكاتهم الخاملة ونفذوا عمليات نوعية ومحدودة ضد عناصر النظام.[52] كما شهدت درعا نشاطًا متجددًا لهيئة تحرير الشام، إذ أعاد عدد قليل من المقاتلين – بعضهم بقي في مدنه والبعض الآخر عاد من إدلب – تنظيم أنفسهم في خلايا محلية سرية. جندت هذه الجماعات مقاتلين وعملت سرًا، ونفذت هجمات محدودة قوضت سلطة النظام من دون أن تلفت الانتباه الى وجودها.[53] عمد اللواء الثامن بدوره إلى التنسيق مع عناصر الهيئة، وسهّل تحركاتهم، وقدّم لهم الحماية، وساعدهم على تغيير مواقعهم قبل المداهمات الأمنية.[54] على عكس القنيطرة ودرعا، حيث كان لعناصر الهيئة حضور ميداني مستتر، اختارت الهيئة اتباع نهج غير مباشر في السويداء. ورغم غيابها المباشر هناك، أفادت التقارير أن الهيئة أقامت صلات مع الجهات الفاعلة المحلية عبر وسطاء وعناصر أمنية منذ منتصف عام 2024، شارك فيها بشكل أساسي ليث البلعوس، متزعم قوات شيخ الكرامة، وهي جماعة مسلحة صغيرة تشكلت في عام 2018.[55]

قبيل شن الهيئة لهجومها على نظام الأسد في أواخر تشرين الثاني/نوفمبر 2024، كان الجنوب قد فقد منذ أمد الأمن و الاستقرار. كان هذا الوضع نتاجًا لانقسام عميق، ووقودًا له في آن واحد، حيث عملت القوى المحلية المؤثرة والجهات الخارجية الداعمة والشبكات غير المشروعة جنبًا إلى جنب مع بقايا هياكل الدولة الرسمية. باختصار، أصبح الجنوب علامة على تشظي البلاد وصورة مصغرة لها، إذ يوضح كيف تعايش القمع والمقاومة والتفاوض في فضاء متنازع عليه، وينذر بتحديات أمنية معقدة كان لا بد أن تطل برأسها مجددًا غداة سقوط النظام.

التعامل مع التحديات الأمنية الحالية

في أواخر تشرين الثاني/نوفمبر 2024، شنت هيئة تحرير الشام هجومًا مباغتاً على نظام الأسد، ما أسفر عن تحول حاسم في ميزان القوى في الجنوب. بحلول 6 كانون الأول/ديسمبر، أنشأت جماعات مسلحة محلية من درعا والسويداء والقنيطرة غرفة عمليات الجنوب،[56] بقيادة اللواء الثامن في المقام الأول. سهّلت هذه الهيكلية القيادية العمليات في جميع أنحاء المنطقة الجنوبية مع التنسيق مع قوات الهيئة المتقدمة من الشمال، لتطبق الخناق على النظام على جبهات متعددة وتنهك قدرته على الاحتفاظ بالسيطرة على الأراضي المتنازع عليها.

في درعا، شنت فصائل غرفة العمليات سلسلة من الهجمات النوعية على نقاط التفتيش والمنشآت العسكرية التابعة للنظام، مع حملة منسقة لتشجيع مجندي النظام على الانشقاق. في حالات عديدة، استسلم أفراد النظام أو انسحبوا بلا مقاومة، فيما خاض آخرون معارك هُزموا فيها. في 6 كانون الأول/ديسمبر، استولت غرفة العمليات على معبر نصيب-جابر الحدودي مع الأردن،[57] وأعلنت في اليوم التالي تحرير محافظة درعا.[58] في القنيطرة، أجبرت الفصائل المحلية قوات النظام على إخلاء المنطقة، وسحبت روسيا أفراد الشرطة العسكرية من المنطقة إلى قاعدة حميميم الجوية في محافظة اللاذقية.[59] وفي السويداء، طالبت الفصائل المسلحة الدرزية والبدوية مسؤولي النظام وقوات الأمن بإخلاء مواقعهم،[60] ثم شكلت غرفة عمليات مشتركة لتنسيق الاستيلاء على نقاط التفتيش ومراكز الشرطة بعد انسحاب عناصرها الكامل.[61] مع تقدم فصائل غرفة العمليات نحو الضواحي الجنوبية لمدينة دمشق، أعلنت تشكيل غرفة عمليات «فتح دمشق»

51 شبكة شام، «المطلوب رقم واحد للأردن.. من هو «مرعي الرمثان» الذي طالته الغارات الأردنية جنوبي سوريا»، 8 أيار/مايو 2023، متاح على:

https://tinyurl.com/yu9fmcc2

52 مقابلة مع ناشط محلي في القنيطرة، 2021؛ مقابلة مع عضو سابق في المعارضة المسلحة في درعا، 2021.

53 مقابلة مع ناشط محلي في درعا، 2022-2023؛ مقابلات مع أعضاء سابقين في المعارضة المسلحة في درعا، 2022-2023.

54 Walid Nawfal, "'Resurrection': HTS Returns to Southern Syria", Syria Direct, 27 May 2024, https://tinyurl.com/9fcwey58

55 Mazen Ezzi, "The Hidden Pathways to Breach Suwayda", Daraj, 12 August 2025, https://tinyurl.com/mryvnmed

56 شبكة شام، «ثوار درعا يعلنون عن تشكيل غرفة عمليات الجنوب وسط هجمات تستهدف مقرات الأسد»، 6 كانون الأول/ديسمبر 2024، متاح على:

https://bit.ly4/pccPq6

57 شبكة شام، «بعد سيطرة ثوار درعا على معبر نصيب.. الأردن يغلق معبر جابر الحدودي مع سوريا»، 6 كانون الأول/ديسمبر 2024، متاح على:

https://tinyurl.com/y8sxymnr

58 عنب بلدي، «المعارضة تعلن سيطرتها على كامل درعا»، 7 كانون الأول/ديسمبر 2024، متاح على:

https://tinyurl.com/yc459hbf

59 مقابلة مع ناشط محلي في القنيطرة، كانون الأول/ديسمبر 2024.

60 عنب بلدي، «"قوات الكرامة" تمهل النظام لإخلاء مواقعه بالسويداء»، 6 كانون الأول/ديسمبر 2024، متاح على:

https://tinyurl.com/nhzn7zz8

61 العربي، «المعارضة السورية تسيطر على كامل مدينة درعا: الجنوب خال تمامًا من وجود النظام»، 7 كانون الأول/ديسمبر 2024، متاح على:

https://tinyurl.com/mfz4hayv

الخريطة 2: المواقع العسكرية الإسرائيلية وأنشطتها في جنوب غرب سوريا، 8 كانون الأول/ ديسمبر 2024 – 15 تشرين الثاني/نوفمبر 2025

المصدر: مجموعة بيانات المؤلف

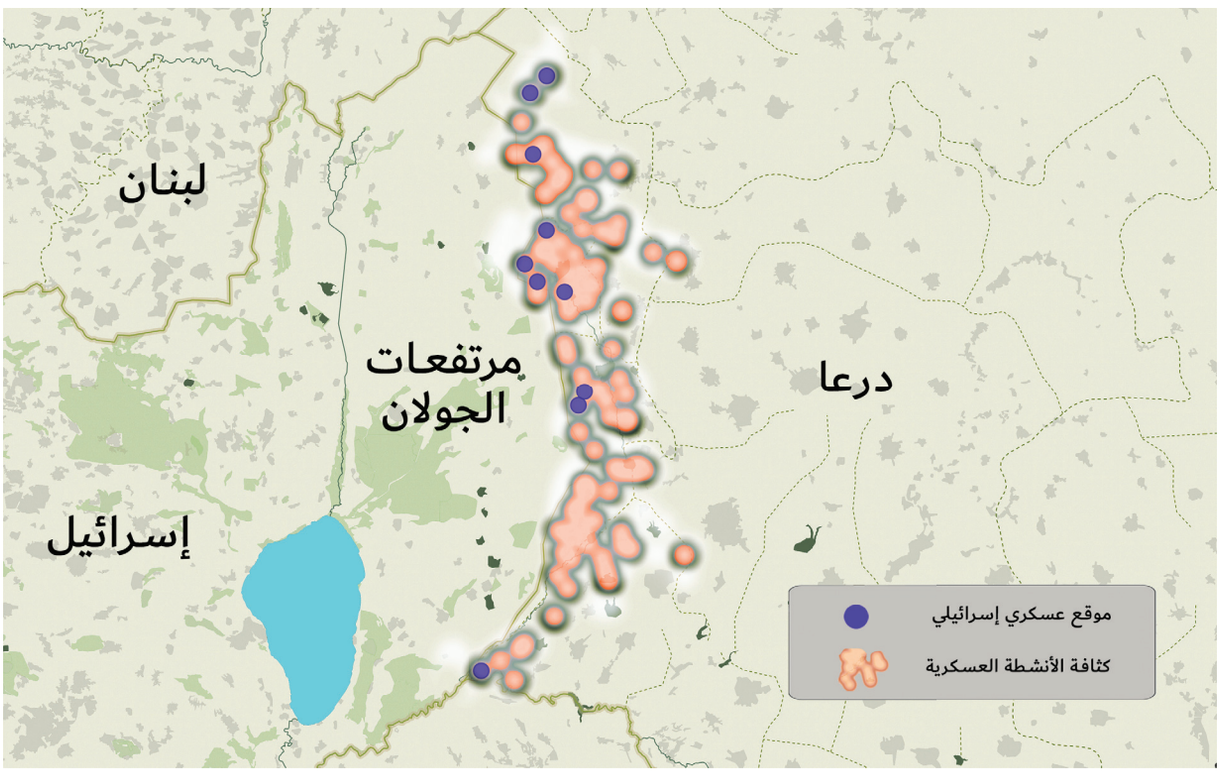

استعدادًا لدخول العاصمة.[62] في 8 كانون الأول/ديسمبر 2024، انهار نظام الأسد، ودخلت قوات الغرفة إلى دمشق، ثم تراجعت جنوبًا للسماح للقوات بقيادة الهيئة المتقدمة من الشمال بالسيطرة على العاصمة.

شكّل انهيار نظام الأسد فصلاً جديدًا في الجنوب السوري، وبث نهاية الحكم الاستبدادي آمالًا في تحقيق الاستقرار. بيد أن المنطقة ما لبثت أن دخلت في مرحلة من التحولات السياسية والأمنية العميقة. ولا يزال الوضع الحالي متقلبًا ومتغيرًا، إذ يتأثر بالعديد من العوامل المحلية والخارجية ذات الأجندات المتضاربة. يتناول هذا القسم أبرز التحديات الأمنية في الجنوب والاختلافات في أسبابها وأنماطها وتأثيراتها في درعا والسويداء والقنيطرة. تشمل هذه التحديات أشكال التدخل الإسرائيلي، والعنف، والشبكات المسلحة المرنة، واستئناف تهريب المخدرات. ورغم الترابط بين هذه التحديات في بعض الحالات، فهي تشكّل الدوافع الرئيسة لعدم الاستقرار خلال المرحلة الانتقالية السياسية في سوريا، وتشكل عقبات كبيرة أمام جهود الدولة لتعزيز سلطتها واستعادة النظام العام في الجنوب.

التدخل الإسرائيلي المستمر

منذ كانون الأول/ديسمبر 2024، شكّل التدخل الإسرائيلي البيئة الأمنية في جنوب سوريا. في القنيطرة ودرعا والسويداء، استخدمت إسرائيل مجموعة من التكتيكات، من بينها احتلال الأرضي والتوغلات البرية، والانتشار المتقدم المحدود، والضربات الجوية الدقيقة، أو التهديد بها. على الرغم من اختلاف شكل التدخل وشدته ونطاقه في المحافظات الثلاث، فإن التأثير الأوسع نطاقًا كان متسقًا: فقد هيمنت إسرائيل على المشهد الأمني، وأثرت فيه، وقيدت سلطة الدولة، وحافظت على موطئ قدم استراتيجي في الجنوب.

في القنيطرة، يتجلى التدخل الإسرائيلي بأكثر أشكاله مباشرة واستمرارية وشمولية. بُعيد انهيار نظام الأسد، انتهكت القوات الإسرائيلية اتفاقية 1974 بشأن فصل القوات بالسيطرة على المنطقة المنزوعة السلاح، والواقعة تحت مراقبة قوة الأمم المتحدة لمراقبة فض الاشتباك بين هضبة الجولان والقنيطرة، وهي منطقة تمتد على طول 75 كم وعرض يتراوح بين 0.5

62 مؤسسة الذاكرة السورية، «بيان رقم 1 - «غرفة عمليات فتح دمشق»»، 6 كانون الأول/ديسمبر 2024، متاح على:
https://tinyurl.com/y6pr252j

و10 كم.[63] من مواقعها العسكرية في القنيطرة، تقوم القوات الإسرائيلية بدوريات وتوغلات منتظمة تصل إلى 20 كم، ما يوسع نفوذها العسكري ونطاق عملياتها إلى عمق الأراضي السورية. وبحسب البيانات التي جمعها المؤلف، نفذت القوات العسكرية الإسرائيلية ما لا يقل عن 294 توغلاً بريًا في القنيطرة في الفترة ما بين 8 كانون الأول/ديسمبر 2024 ومنتصف تشرين الثاني/نوفمبر 2025 (الخريطة 2).

شملت هذه التوغلات مجموعة واسعة من العمليات، من بينها إقامة نقاط تفتيش مؤقتة لتفتيش واستجواب المركبات والمارة، والبحث عن الأسلحة ومصادرتها، وهدم المنشآت العسكرية، والتجريف، والحفر، وإزالة الغابات، وحرق الأراضي الزراعية، ومداهمة المنازل وتفتيشها، وإصدار أوامر إخلاء المنازل وهدمها، واعتقال سكان من المنطقة.[64] تضمنت بعض العمليات استخدام القوة الناعمة للتأثير في الأهالي، كتوزيع المساعدات الإنسانية، لكن ما أبداه الأهالي من رفض ومقاومة لها يسلط الضوء على محدودية أثر هذه التكتيكات.[65]

في درعا، تجمع إسرائيل بين وجود محدود على الأرض وغارات جوية محددة الأهداف، أو التهديد بها. بين 8 كانون الأول/ديسمبر 2024 و 15 تشرين الثاني/نوفمبر 2025، شنت إسرائيل ما لا يقل عن 55 غارة جوية وعملية قصف في أنحاء المحافظة، استهدفت في المقام الأول المنشآت العسكرية ومخزونات الأسلحة. يتركز الوجود البري في أقصى الجنوب الغربي بالقرب من هضبة الجولان، حيث أقامت إسرائيل موقعًا متقدمًا بالقرب من قرية معرية في حوض اليرموك، يُعرف بثكنة الجزيرة.[66] ويوفر هذا الموقع منصة مراقبة وعمليات ويعزز الوجود الاستراتيجي على طول حدود الجولان. من هذا الموقع العسكري، شنت القوات الإسرائيلية ما لا يقل عن 70 عملية توغل في بلدات في حوض اليرموك خلال الفترة نفسها. رافقت هذه التوغلات في العديد من الأحيان مداهمات للمنازل، وعمليات تفتيش عن الأسلحة، واعتقالات، وفي بعض الحالات، قصف انتقامي ردًا على المقاومة المحلية.[67]

في السويداء، يمثل التدخل الإسرائيلي نموذجًا ثالثًا بالغ التأثير. على عكس القنيطرة، حيث يتيح الاحتلال المستمر السيطرة العملياتية المستمرة، أو درعا، حيث يقترن الوجود المحدود بضربات جوية متفرقة، تعتمد إسرائيل في السويداء بشكل شبه كامل على رسائل الردع والتهديد باستخدام القوة ضد القوات الحكومية، تحت ذريعة معلنة مؤداها حماية الطائفة الدرزية.[68] في تموز/يوليو 2025، نشرت وزارة الدفاع وجهاز الأمن العام التابع لوزارة الداخلية قوات في المنطقة واشتبكت مباشرة مع الفصائل الدرزية المسلحة، على الرغم من التصريحات السابقة بأن نشر هذه القوات يهدف إلى فض الاشتباكات بين المقاتلين الدروز والبدو.[69] ردًا على ذلك، شنت إسرائيل غارات جوية على القوات العسكرية وقوات الأمن العام في السويداء، وعلى مقر الأركان العامة في دمشق، ما دفع السلطات إلى سحب قواتها من المحافظة.[70]

تتجلى آثار التدخل الإسرائيلي على سلطة الدولة في الجنوب بأوضح صورها في القنيطرة، حيث تتباين سيطرة الدولة جغرافيًا. في المناطق الداخلية، كمدينة السلام (البعث سابقًا)، تحافظ الدولة على وجودها وتمارس مؤسساتها سلطة شبه مطلقة. الاستثناء الوحيد في المناطق الداخلية بلدة حضر الدرزية، حيث لا سيطرة حكومية و بالتالي تقع إدارة الشؤون المحلية على عاتق جهات فاعلة محلية.[71] يتغير الوضع جذريًا بالقرب من هضبة الجولان، حيث تحافظ إسرائيل على وجود مستمر وتُسيّر دوريات روتينية تقيد بشدة نطاق سلطة الدولة. أفرز هذا التوزيع مشهدًا مجزأ ومتعدد المستويات، يكون في ظله وجود الدولة قويًا في بعض المناطق ولكنه ضعيف أو منعدم في مناطق أخرى، تاركاً السكان عالقين بين الجهات الفاعلة الأجنبية والصراعات المحلية على السلطة.

63 سكاي نيوز عربية، «فيديو.. إسرائيل تنشئ 9 قواعد ونقاط عسكرية في سوريا»، 11 أيلول/سبتمبر 2025، متاح على:

https://tinyurl.com49/edfsf8

تقدم الجيش الإسرائيلي أكثر واحتل الجانب السوري من جبل حرمون، وهو موقع استراتيجي مهم يطل على دمشق والحدود مع لبنان. انظر:

Reuters, “Defence minister orders Israeli troops to prepare to spend winter on Mount Hermon”, 15 December 2024, available on https://tinyurl.com/4zjnktjt

64 مقابلات مع مدنيين في القنيطرة، تشرين الأول/أكتوبر ونوفمبر 2025.

65 المدن، «الاحتلال يداهم ريف القنيطرة.. الأهالي يرفضون المساعدات الإسرائيلية»، 12 آذار/مارس 2025، متاح على:

https://tinyurl.com56/u5b8v4

تلفزيون سوريا، «أهالي صيدا بالقنيطرة يطردون دورية إسرائيلية.. والاحتلال يرد بإطلاق النار| فيديو»، 1 تشرين الثاني/نوفمبر 2011، متاح على:

https://tinyurl.com/eny2a4uu

66 شبكة درعا 24، «إسرائيل تواصل تعزيز وجودها في ثكنة الجزيرة غربي درعا»، 25 كانون الأول/يناير 2025، متاح على:

https://tinyurl.com4/kcd26x2

67 شبكة درعا 24، «تطورات القصف الاسرائيلي على بلدة كويا في ريف درعا الغربي»، 25 آذار/مارس 2025، متاح على:

https://tinyurl.com4/rbvbx8r

68 The Guardian, “Israel Says Airstrikes in Syria Are ‘Message’ to Protect Druze Minority”, 3 May 2025, https://tinyurl.com/54bpb63h

69 الإخبارية، «وزارة الدفاع للإخبارية: شهداء وجرحى من الجيش أثناء محاولتهم فض الاشتباكات في السويداء»، 14 تموز/يوليو 2025، متاح على:

https://tinyurl.com/frxedmr4

70 الجزيرة، «غارات إسرائيلية على السويداء ودمشق تدعو لعدم دعم أي حركة انفصالية»، 14 تموز/يوليو 2025، متاح على:

https://tinyurl.com4/jwu24cj

Reuters, “Israel Launches Heavy Airstrikes in Damascus, Vowing to Protect Druze”, 17 July 2025, https://tinyurl.com/m8hs7b8t

71 مقابلة مع ناشط محلي في القنيطرة، تشرين الثاني/نوفمبر 2025.

الشكل 1: أعمال العنف في محافظة درعا، تموز/يوليو 2018 – 15 تشرين الثاني/نوفمبر 2025

المصدر: مجموعة بيانات المؤلف

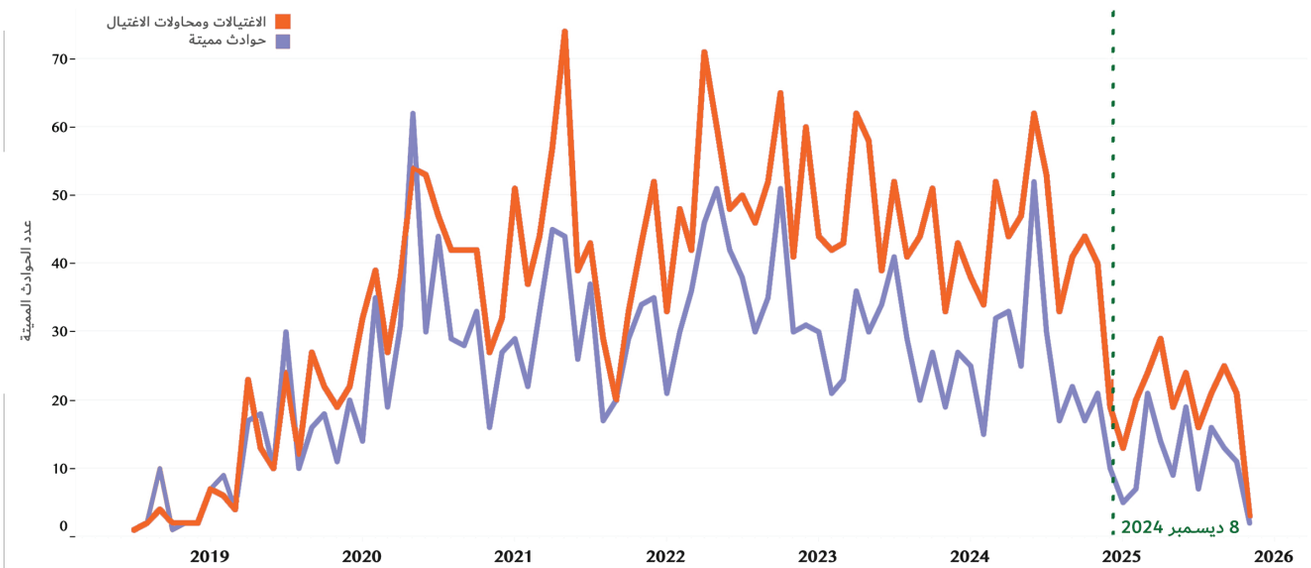

في درعا، آثار التدخل الإسرائيلي على سلطة الدولة أقل وضوحاً مما هي عليه في القنيطرة، لكنها لا تزال ملحوظة. تفرض الدولة سلطتها ووجودها الأمني في المحافظة. يحافظ جهاز الأمن العام على وجوده على الطرقات بين المناطق المحلية والمراكز الحضرية الرئيسة في درعا، ما يعطي انطباعًا لدى العديد من أهالي المنطقة بوجود رقابة أمنية قوية.[72] لكنّ هذه الرقابة تصبح أقل بشكل ملحوظ في حوض اليرموك. فقد خلق وجود موقع عسكري إسرائيلي في أقصى الجنوب الغربي من المحافظة وتسييره دوريات روتينية، منطقة يتقلص فيها وجود جهاز الأمن العام وحريته في العمل.[73] في الوقت نفسه، يحد التهديد بغارات جوية إسرائيلية، بهدف فرض منطقة منزوعة السلاح على الحدود الجنوبية،[74] من قدرة الدولة على نشر أسلحة ثقيلة ويعيق إعادة هيكلة وتسليح الفرقة 40، الوحدة المخصصة لمحافظة درعا ضمن المؤسسة العسكرية الجديدة.

في السويداء، أضعف التهديد المستمر بالتدخل الإسرائيلي سلطة الدولة إلى حدٍّ كبير. ولم تعد المؤسسات الحكومية، بما فيها وزارتا الدفاع والداخلية، تتمتع بأي نفوذ فعلي في أجزاء كبيرة من المحافظة. ونتيجة لذلك، تولت الجهات الفاعلة المحلية الناشئة شؤون الحكم والأمن، ولا سيما اللجنة القانونية العليا،[75] السلطة الإدارية بحكم الأمر الواقع، والحرس الوطني،[76] الهيكل العسكري الجديد المكوَّن من فصائل محلية. وقد منح موقف إسرائيل الحامي للدروز الجهات الفاعلة المحلية أوراق ضغط تفاوضية أقوى. ويُظهر الرفض القاطع من قبل اللجنة القانونية العليا لخارطة طريق أيلول/سبتمبر 2025 بين سوريا والأردن والولايات المتحدة، لحل الأزمة في السويداء،[77] كيف يمكن للتدخل الخارجي أن يحول الجهات الفاعلة المحلية إلى كيانات شبه سيادية، قادرة على رفض المبادرات الوطنية والدولية. لكن هذه المظلة الأمنية الخارجية تظل هشة بطبيعتها. فأي تغيير في التوجه الاستراتيجي لإسرائيل قد يسحب من الجهات الفاعلة المحلية أي أوراق اكتسبتها من الدعم الأجنبي، لتتحول المكاسب الأمنية قصيرة الأجل إلى مكامن ضعف طويل الأجل.

72 سلسلة مقابلات مع مدنيين في درعا، تشرين الأول/أكتوبر-تشرين الثاني/نوفمبر 2025.

73 مقابلة مع مدني في حوض اليرموك، تشرين الثاني/نوفمبر 2025.

74 BBC News, “Israel Demands Complete Demilitarisation of Southern Syria”, 14 November 2025, https://tinyurl.com/2facjfx4

75 العربي الجديد، ««اللجنة القانونية» في السويداء تؤطر «الإدارة الذاتية» عبر تعيين قادة عسكريين ومدنيين»، 7 آب/أغسطس 2025، متاح على:

https://tinyurl.com2/s63eeb8

76 جسر برس، «إعلان تشكيل «الحرس الوطني» في السويداء لتوحيد الفصائل المحلية»، 23 آب/أغسطس 2025، متاح على:

https://tinyurl.com4/tupx7hd

77 وكالة العربية السورية للأنباء، «وزارة الخارجية تنشر نص خارطة طريق حل الأزمة في السويداء واستقرار جنوب سوريا»، 16 أيلول/سبتمبر 2025، متاح على:

https://tinyurl.com2/dyamxb8

سكاي نيوز العربية، «السويداء.. اللجنة القانونية ترفض خارطة طريق الحكومة»، 17 أيلول/سبتمبر 2025، متاح على الرابط:

https://tinyurl.com3/ukvh7mf

العنف وحدود تفكيك الشبكات المسلحة

تشكّل تركات الحرب، وما يرتبط بها من عسكرة، ومرونة الشبكات المسلحة، وانتشار الأسلحة، والتدخل العسكري الإسرائيلي، عوامل أساسية من بين عدة عوامل أخرى تنتج أنماطًا مترابطة من العنف في جنوب سوريا. يُظهر الفحص المقارن للأوضاع في القنيطرة ودرعا والسويداء أن العنف في المنطقة لا يمكن فهمه من خلال منظور عام شامل للجنوب ككل. إذ تتميز كل محافظة بمجموعة متميزة من الفاعلين والعوامل تتفاعل فيما بينها لتنتج مظاهر عنف تختلف في حجمها وشدتها وتأثيرها. ويعكس هذا التباين تفاوت طرائق الدولة في محاولتها استعادة احتكار العنف في جنوب سوريا، فضلاً عن أوجه القصور في نهجها في بعض السياقات، ما يمهّد لاستعراض الاختلافات على مستوى المحافظات.

تشكل القنيطرة حالة استثنائية يتقلص فيها احتكار الدولة لاستخدام العنف على نحوٍ متدرج. ففي المناطق المحاذية لمرتفعات الجولان، تُقيَّد قدرة الدولة على فرض سلطتها بفعل الوجود العسكري الإسرائيلي المستمر، الذي يهيمن على المشهد الأمني ويتحكّم عمليًا بقرار استخدام القوة. وعلى النقيض، كلما اتجهنا بعيدًا عن الحدود واتجهنا إلى داخل القنيطرة، يبرز حضور الدولة وقدرتها على فرض النظام بشكل أوضح، مع استثناء بلدة حضر الدرزية، كما أُشير إليه سابقًا. يعكس انتشار جهاز الأمن العام هذا التفاوت الجغرافي في ممارسة السلطة: إذ يتّسم حضوره بالاتساع في بعض المناطق الداخلية، ويتقلّص إلى نقاط تفتيش بين مناطق أخرى، ويغيب كليًا على امتداد الشريط المحاذي لهضبة الجولان.[78] في المقابل، لا تضطلع وزارة الدفاع بأي دور عملي في القنيطرة؛ إذ تفتقر إلى وجود إداري فعلي، وقد سحبت جميع أسلحتها الثقيلة من المحافظة، أساسًا لتجنّب أي مواجهة محتملة مع القوات الإسرائيلية.[79]

وفي الوقت نفسه، أدّى استمرار الوجود والنشاط العسكري الإسرائيليين إلى إغلاق المجال أمام ظهور فصائل مسلحة محلية. وعلى الرغم من تقارير تتحدث عن محاولات فلول نظام الأسد والجماعات المتحالفة مع إيران إعادة تنظيم صفوفها،[80] تبقى الأدلة على وجود أنشطة عملياتية مستمرة محدودة للغاية، ما يثير شكوكاً جدية حول تجاوز هذه الادعاءات نطاق التداول على الإنترنت.[81] بل إن كثافة المراقبة الإسرائيلية، مقرونة بغياب الحاضنة المحلية اللازمة للعمل السري،[82] تجعل ظهور مثل هذه الجماعات أو تنفيذها لعمليات فعالة أمرًا بالغ الصعوبة ويتطلب موارد كبيرة.

تقدم درعا حالة مغايرة، إذ تحتكر الدولة رسميًا العنف، لكن هذه السيطرة تتعرض للتقويض بشكل مستمر. فعلى الرغم من الانخفاض الملحوظ في العنف منذ سقوط نظام الأسد، ما تزال الاغتيالات والخطف والمواجهات المسلحة المحلية تقع بين الحين والآخر (انظر الشكل 1). وفقًا للبيانات التي جمعها المؤلف، اغتيل ما لا يقل عن 120 شخصًا بين كانون الأول/ديسمبر 2024 ومنتصف تشرين الثاني/نوفمبر 2025، من بينهم مدنيون عاديون ومقاتلون سابقون في المعارضة وأعضاء في قوات الأمن العام والفرقة 40. إن الغموض الذي يلف هوية المهاجمين في غالبية حوادث الاغتيال يعقّد تحديد دوافعها، ويطمس الحدود بين العنف السياسي، وتصفية الحسابات الشخصية، والأنشطة الإجرامية.

وعلى الرغم من الحملات المتكررة التي نفذتها قوات الأمن العام لجمع الأسلحة،[83] فإن الانتشار الواسع للأسلحة النارية وسهولة الحصول عليها لا يسهلان عمليات القتل المستهدف فحسب، بل يزيدان من مخاطر القتل الناجمة عن سوء استخدام الأسلحة وحوادث إطلاق النار العشوائي أيضًا. فقد سُجِّل ما لا يقل عن 75 حادثة من هذا النوع خلال الفترة نفسها، أودت بحياة قرابة 50 شخصًا، بينهم نساء وأطفال. ويسهم تطبيع الأسلحة النارية في الحياة اليومية في تحويل النزاعات الشخصية والمجتمعية إلى مواجهات دامية. ففي ما لا يقل عن 35 حالة، تصاعدت خلافات شخصية إلى اشتباكات مسلحة ذات نتائج مميتة، في حين أدّت 49 مواجهة محلية، شملت نزاعات عشائرية ومناوشات شارك فيها أحياناً جهاز الأمن العام، إلى مقتل أكثر من 50 شخصًا.

تمثل مرونة الشبكات المسلحة محركاً رئيسيًا للعنف في منطقة شهدت انتشارًا واسعًا للجماعات المسلحة، إذ ظهر ما لا يقل عن 200 جماعة وعملت بين عامي 2018 و2024. وعلى الرغم من غموض مصير معظم هذه الجماعات بعد سقوط النظام، سواء عبر دمجها في الهياكل الناشئة للدولة، أو تفكيكها، أو عودتها إلى الحياة المدنية، تشير الأدلة المتاحة إلى أن الدولة الجديدة انتهجت في درعا استراتيجية مزدوجة قوامها الدمج الانتقائي من جهة، والتفكيك القسري من جهة أخرى. غير أن كلا المسارين أظهر حدودًا واضحة؛ إذ فشل الدمج في تفكيك البُنى الشبكية للعنف، بينما أدى التفكيك القسري في بعض الحالات إلى إعادة إنتاجه بأشكال أكثر تشتتاً، ما أسهم في إدامة العنف بدل احتوائه.

في بعض الأحيان، استوعبت هياكل الدولة أعضاء جماعات مسلحة حلت نفسها طواعية. غير أن هذا الاندماج لم يؤدِّ بالضرورة إلى تفكيك الشبكات السابقة؛ إذ احتفظ كثيرون

78 مقابلات مع مدنيين في القنيطرة، تشرين الثاني/نوفمبر 2025.

79 مقابلة مع ناشط محلي في القنيطرة، تشرين الثاني/نوفمبر 2025.

80 نون بوست، ««أولي البأس»: ذراع إيرانية جديدة في الجنوب السوري»، 21 أيلول/سبتمبر 2025، متاح على:
https://tinyurl.com229/py6en

81 Sary Mumayiz and Hamdi Malik, “Profile: Uli al-Baas”, 21 July 2025, https://tinyurl.com/cm6etdby

82 مقابلة مع ناشط محلي في القنيطرة، تشرين الثاني/نوفمبر 2025.

83 وكالة شمال برس، «الأمن العام يطلق حملة لجمع الذخيرة والسلاح في درعا»، 19 نيسان/أبريل 2025، متاح على:
https://tinyurl.com/y236rjtw

بعلاقاتهم القديمة، بل واستغل بعضهم مواقعهم الجديدة داخل مؤسسات الدولة لتصفية حسابات وثارات سابقة عبر العنف. برزت هذه الديناميّة بوضوح في مدينة طفس في حزيران/يونيو 2025، حين أُعيد فتح جراح ثأر قديمة وتصاعدت إلى اشتباكات مسلحة، توزّع خلالها عناصر فصائل منحلّة ومندمجون في قوات الأمن العام على طرفي القتال.[84]

وفي حالات أخرى، لجأت الدولة إلى التفكيك القسري المباشر للشبكات المسلحة، كما في تعاملها مع الفصيل المحلي بقيادة محسن الهيمد في مدينة الصنمين.[85] ففي آذار/مارس 2025، شنت قوات الأمن العام والقوات العسكرية هجومًا على الجماعة، أسفر عن مقتل واعتقال عدد من عناصرها، رغم تمكن الهيمد وعدد من أتباعه من الفرار.[86] وعلى الرغم من أن العملية عطّلت الفصيل مؤقتاً، فإن عناصره أعادوا تنظيم أنفسهم لاحقًا وتورطوا في أعمال عنف جديدة، تجلّت في اغتيال ماهر اللباد، قائد جماعة مسلحة أخرى في الصنمين، وهي حادثة نُسبت إلى فصيل الهيمد وأدت إلى تجدد الاشتباكات.[87]

وفي مسار ثالث، مارست الدولة ضغوطًا مباشرة على جهات مسلحة بارزة، ولا سيما تلك التي رأت نفسها متعاونة مع الدولة لكنها احتفظت بهوامش استقلالية نافسة، كما في حالة اللواء الثامن الذي أعلن حلّ نفسه رسميًا في نيسان/أبريل 2025.[88] وقد غذّى ذلك النهج انطباعًا محليًا بأن شخصيات معارضة كانت قد نزحت إلى إدلب عام 2018 ثم عادت بعد انهيار النظام أُسندت إليها مناصب عليا في الهياكل الأمنية الجديدة، في حين جرى تهميش من بقوا في الداخل وواصلوا تحدي سلطة نظام الأسد.[89] ورغم أن هذه التصورات حول الإقصاء والاندماج تسهم في تعميق الاستقطاب وتهيئة بيئة قابلة لاندلاع العنف المحلي، فإنه لا تتوافر حتى الآن أدلة قاطعة على أن هذا الشعور بالتهميش قد أسهم مباشرةً في أحداث عنف حتى الآن.

على عكس درعا، حيث يتخذ العنف في الغالب طابعًا محليًا وعرضيًا، تُظهِر السويداء نمطًا متميزًا يتسم بمواجهات مفاجئة واسعة النطاق وخسائر بشرية مرتفعة. كان المحرك الرئيس لهذا العنف محاولات الدولة فرض سيطرتها ونزع السلاح. وقد اشتدت المقاومة لهذه المطالب، بقيادة الشيخ حكمت الهجري،[90] بعد وقوع حدثين محوريين: العنف الطائفي في المنطقة الساحلية في آذار/مارس 2025 والاشتباكات الطائفية في أواخر نيسان/أبريل في مناطق في محافظة ريف دمشق وفي شمال وغرب محافظة السويداء.[91] وقد عززت هذه الأحداث عدم الثقة العميق تجاه السلطات الجديدة ورسخّت الانطباع بأن الجماعات المسلحة المحلية تشكل ضرورة لحماية المجتمع وبقائه. وفي هذا السياق، برز تصوّر محلي مفاده أن أي محاولة لنزع سلاح الفصائل الدرزية تُعدّ تهديدًا وجوديًا مباشرًا للمجتمع.[92]

وأسهمت المناورات اللاحقة التي قامت بها الدولة لإعادة فرض سيطرتها في تأجيج المقاومة والأعمال العدائية، بدءًا من الاتفاق المبرم في أيار/مايو 2025 لتفعيل قوات أمن محلية تحت إشراف الدولة، وصولًا إلى نشر القوات العسكرية وقوات الأمن العام، إلى جانب قوات عشائرية، في تموز/يوليو 2025.[93] وخلال هذه المرحلة، شهدت المحافظة مواجهات واسعة النطاق، ومناوشات عند نقاط التفتيش، وحوادث قتل خارج نطاق القضاء. وفرض التدخل الإسرائيلي انسحاب القوات العسكرية والأمنية من معظم أنحاء المنطقة، ليحبط فعليًا جهود الدولة لفرض احتكارها على استخدام العنف. أودت الأعمال العدائية في تموز/يوليو 2025 بحياة أكثر من 1000 شخص، بما في ذلك ضحايا الإعدامات، وتسببت في

84 سوريا على طول، « عناصر مثيرة للجدل في صفوف الأمن العام بدرعا عبر بوابة «خلف الخطوط»»، 30 حزيران/يونيو 2025، متاح على الرابط https://tinyurl.com/3w3nah8u

85 كان محسن الحيماد يقود جماعة مسلحة تربطها علاقات بجهاز المخابرات العسكرية التابع للنظام السابق وبتنظيم الدولة الإسلامية. انظر: تجمع أحرار حوران، « تحت رعاية النظام.. الجنوب السوري بؤرة لميليشيا الاغتيالات والمخدرات»، 5 تشرين الثاني/نوفمبر 2023، متاح على:

https://tinyurl.com/sb4u26

86 رابطة أحرار حوران، «انتهاء العملية الأمنية في الصنمين بمقتل واعتقال العشرات من مجموعة الهيمد»، 6 آذار/مارس 2025، متاح على:

https://tinyurl.com/mt7vu4y3

87 العربية، «سورية.. 4 قتلى في درعا جراء اشتباكات اندلعت إثر اغتيال قيادي سابق»، 2 حزيران/يونيو 2025، متاح على:

https://tinyurl.com4/v9tp8cx

88 شبكة شام، «اللواء الثامن يقرر حل نفسه سلميًا.. ودعوات لتسليم السلاح»، 13 نيسان/أبريل 2025، متاح على:

https://tinyurl.com25/crch26

89 Walid Nawfal, “Daraa Security Forces Plagued by Vendettas, Abuse and Controversial Recruits”, Syria Direct, 2 July 2025, https://tinyurl.com/hx4zewkx

90 سكاي نيوز، «الشيخ الهجري: من المبكّر جدا الحديث عن تسليم السلاح في سوريا»، 1 كانون الأول/يناير 2025، متاح على:

https://tinyurl.com86/bnjrue

91 نوار جبور، «المجازر في الساحل السوري... المرتكبون والضحايا»، 17 آذار/مارس 2025، متاح على:

https://tinyurl.com2/b6h6j2t

سويدا 24، «توثيق مقتل 164 شخصًا في نيسان 2025»، 31 أيار/مايو 2025، متاح على:

https://tinyurl.com/yj7fwxaz

92 الحدث، «»رجال الكرامة» بالسويداء: تسليم السلاح الآن للدولة يعني الانتحار»، 5 أيار/مايو 2025، متاح على:

https://tinyurl.com/bddz5zbp

93 عنب بلدي، «محافظ السويداء: الاتفاق سارٍ بـ«تعديلات طفيفة»»، 3 أيار/مايو 2025، متاح على:

https://tinyurl.com2/yu77pf4

مازن عزي، ««غزوة العشائر»: البُنية والتعبئة والعلاقة مع «الهيئة» في هجوم السويداء»، درج، 19 تموز/يوليو 2025، متاح على:

https://tinyurl.com4/xcze64r

نزوح حوالي 150 ألف درزي و70 ألف بدوي.[94] وحتى بعد التوصل إلى وقف إطلاق النار في ذلك الشهر، لم تستعد المنطقة استقرارها؛ إذ لا تزال تحدث بين الفينة والأخرى اشتباكات متفرقة، وغارات بالمسيّرات، وقصف محدود على طول خطوط التماس.[95]

شبكات تهريب المخدرات المرنة

بعد سقوط نظام الأسد، أعلنت السلطات الجديدة حربًا شاملة على الكبتاغون، وشنت غارات واسعة النطاق أسفرت عن تفكيك منشآت الإنتاج الرئيسة في البلاد.[96] وفي الجنوب السوري، نفذت قوات الأمن العام التابعة لوزارة الداخلية، إلى جانب إدارة مكافحة المخدرات، تدابيرًا أمنية لإحباط عمليات التهريب، لا سيما عبر معبر نصيب الحدودي مع الأردن.[97] واستُكملت هذه الإجراءات بحملات أمنية في جميع أنحاء درعا، أسفرت عن اعتقال مهربي المخدرات ومصادرة كميات كبيرة منها.[98] امتدت هذه الجهود إلى القنيطرة، فقامت وحدات من الأمن العام بمراقبة والقبض على أفراد متورطين في تجارة المخدرات.[99] وتمثل هذه العمليات قطيعة واضحة مع الأنماط السابقة التي شجعها النظام السابق، وتشير إلى التزام السلطات الجديدة بتفكيك الهياكل والشبكات التي حوّلت سوريا إلى مركز إقليمي لإنتاج المخدرات والاتجار بها.

ومع ذلك، استؤنفت عمليات التهريب من جنوب سوريا إلى الأردن بعد فترة قصيرة من الجمود أعقبت انهيار النظام، مع اعتماد متزايد على أساليب غير تقليدية لتفادي الاعتراض. ويشير استخدام المسيّرات، والبالونات الحرارية، والقذائف الجوية إلى أن المهربين باتوا يستثمرون موارد أكبر في كل شحنة لرفع احتمالات نجاحها.[100] وتبدو هذه الشحنات، في معظمها، مستندة إلى مخزونات سابقة أو مستودعات مؤقتة، بما في ذلك مواد نُقلت من مناطق سيطرة النظام السابق خلال فترة الاضطراب التي تلت انهياره مباشرة، وأُخفيت في مناطق حدودية نائية، أكثر من كونها دلالة على استئناف واسع أو توسع منهجي في الإنتاج.[101] ومع ذلك، لا يمكن استبعاد استمرار الإنتاج على نطاق محدود. فقد اتسمت مصانع الكبتاغون في جنوب سوريا بصغر حجمها وطابعها البدائي والتنقلي، ما سهّل نقلها وإخفاءها وتفكيكها بسرعة. وتمنح هذه المرونة المهربين قدرة على مواصلة الإنتاج مع تقليل مخاطر الرصد، حتى في ظل تشديد ضغوط إنفاذ القانون.[102]

ورغم أن العدد الإجمالي لمحاولات التهريب غير معروف، فإن مقارنة بيانات الاعتراض المبلغ عنها عبر الزمن تتيح استخلاص الاتجاهات المحتملة في سلوك المهربين ونتائج عمليات الاعتراض. فمن كانون الثاني/يناير إلى أيلول/سبتمبر 2025، اعترضت القوات المسلحة الأردنية 514 محاولة تهريب، وصادرت نحو 9,860 كيلوغرامًا من الحشيش وأكثر من 11.5 مليون حبة كبتاغون.[103] وبالمقارنة، سجل عام 2024 نحو 711 عملية اعتراض، مع مصادرة 14,633 كيلوغرامًا من الحشيش وأكثر من 3 ملايين حبة كبتاغون.[104] وقد يعكس الانخفاض بنسبة تقارب 28 في المئة في عدد العمليات المعترضة خلال عام 2025 مجموعة من العوامل، من بينها تراجع عدد المحاولات، أو تحسن قدرة المهربين على التملص، أو تغيرات في الانتشار العسكري الأردني والقدرات العملياتية، فضلاً عن التباين الموسمي والعشوائي في تدفقات التهريب.

في المقابل، يشير الارتفاع الحاد في حجم مضبوطات الكبتاغون، بزيادة تقارب 280 في المئة، إلى أن الشحنات التي جرى اعتراضها في عام 2025 كانت أكبر في المتوسط. وإذا ما

94 Reuters, “In Syria’s South, Bedouins Uprooted by Sectarian Clashes See Little Hope of Return”, 8 November 2025, https://tinyurl.com/bdcwcns8

95 العربي الجديد، «قتل مدنيين ومناوشات مسلحة تزيد أزمة السويداء تعقيدًا»، 30 تشرين الأول/أكتوبر 2025، متاح على:
https://tinyurl.com/a83x3vwf

96 عنب بلدي، « «الداخلية السورية» تضبط مخدرات بمقار للنظام السابق»، 19 كانون الأول/يناير 2025، متاح على:
https://tinyurl.com3/dvspdec

العربية، «وزير الداخلية السوري يعلن ضبط «جميع» معامل إنتاج الكبتاغون»، 4 حزيران/يونيو 2025، متاح على:
https://tinyurl.com8/t56ve8k

97 شبكة شام، «الداخلية تعلن إحباط عملية تهريب مخدرات عبر معبر نصيب الحدودي»، 3 تشرين الثاني/نوفمبر 2025، متاح على:
https://tinyurl.com4/r25vtd3

درعا 24، «إحباط تهريب كميات من الكبتاغون عبر معبر نصيب»، 27 تشرين الأول/أكتوبر 2025، متاح على:
https://tinyurl.com3/x7a2ud7

98 درعا 24، «الأمن الداخلي في درعا تضبط كميات كبيرة من المخدرات والأسلحة»، 30 أيلول/سبتمبر 2025، متاح على:
https://tinyurl.com/yxneemnw

درعا 24، «مداهمة مزرعتين بين ام الميادن ونصيب في ريف درعا الشرقي»، 13 أيلول/سبتمبر 2025، متاح على:
https://tinyurl.com4/b3cnmmz

99 تلفزيون سوريا، «الأمن السوري يصادر مواد مخدرة وأسلحة معدّة للتهريب في القنيطرة»، 9 شباط/فبراير 2025، متاح على:
https://tinyurl.com4/y3dkh7a

100 مقابلة مع ناشط محلي في درعا، تشرين الأول/أكتوبر 2025.

101 مقابلة مع ناشط محلي في درعا، تشرين الأول/أكتوبر 2025.

102 مقابلة مع ناشط محلي في درعا، تشرين الثاني/نوفمبر 2025.

103 تلفزيون المملكة، «الجيش يضبط 11.6 مليون حبة مخدرات في 593 محاولة تهريب منذ أوائل عام 2025»، 12 تشرين الأول/أكتوبر 2025، متاح على:
https://tinyurl.com/ycy6mxfa

104 مؤاب، « الجيش يضبط 11.6 مليون حبة مخدرة خلال 593 محاولة تهريب منذ بداية 2025»، 12 تشرين الأول/أكتوبر 2025، متاح على:
https://tinyurl.com2/jvr6jvb

احتكمنا إلى ميزانِ الجدوى الاقتصادية، يظل التهريب نشاطًا مربحاً؛ بما يكفلُ لتلك الشبكاتِ ديمومةَ التشغيل. ذلك أن عوائدَ الشحناتِ الناجحة – باهظةِ القيمة – تَجُبُّ ما قد يلحق بالمهربين من خسائرَ جراءَ ضبطِ بعضِ الشحنات أو ضياعِها؛ لتغدو المحصلة النهائية للعملية رُجحاناً لكفةِ الربحِ في حساباتِ المهربين.[105]

يعكس هذا النمط مرونة الشبكات الإجرامية وقدرتها العالية على التكيف مع إجراءات ضبط الحدود، من خلال تعظيم الربح لكل عملية. ويستفيد المهربون من ضعف حضور الدولة في بعض المناطق، ومعرفتهم الدقيقة بالتضاريس، واستخدامهم تكتيكات متقدمة في التمويه والمشاغلة. كما أن مرافقة الشحنات بحراسة مسلحة تشير إلى استعداد متزايد لمواجهة القوات الأردنية.[106] ولا تدل هذه المرونة على لامركزية الشبكات الإجرامية فحسب، بل أيضًا على استمرار منظومة تهريب راسخة في الجنوب السوري.

ويرتبط جانب كبير من هذه المرونة بالإرث الذي خلفه نظام الأسد، الذي فوض، بفعل ضعف سيطرته في الجنوب، عمليات التهريب إلى جهات محلية غالبًا ما كانت غير مسيّسة ومدفوعة بالربح أكثر من الأيديولوجيا السياسية.[107] تمخضت تلك الاستراتيجية عن منظومةٍ مرنة ذاتيةِ الديمومة؛ لم يَكَدْ سقوطُ راعيها يُحدِثُ فيها صَدعًا، أو يعرقل عملها الأوسع الذي يُديرُهُ أتباع أو مجموعات صغيرة مستقلةُ نَبَتَت وعَمِلت خارج نطاق رقابتِها.[108]

إن هذا التلاقي بين التنظيم اللامركزي، ومخزونات المخدرات الموجودة، وتكتيكات التهريب القابلة للتكيف، والحوافز المالية المستمرة، التي زادت أهميتها بسبب عدم وجود فرص اقتصادية بديلة، يجعل من مكافحة تهريب الكبتاغون تحديًا معقدًا، رغم الاستراتيجية الصارمة التي تتبناها القيادة الجديدة والمداهمات الأمنية التي تتصدر عناوين الصحف. وفي هذا السياق، حدد بيان مشترك صدر في تشرين الأول/أكتوبر 2025 عن إدارتي مكافحة المخدرات السورية والأردنية أطر التعاون العملياتي والاستخباراتي لتفكيك شبكات التهريب على طول الحدود المشتركة.[109] ووفقًا للبيان، أُحبِطت سبع عمليات تهريب، وصودِر أكثر من مليون حبة كبتاغون، وفُككت شبكات إجرامية منظمة.[110] وتمثل هذه الخطوة تطورًا مهمًا في التنسيق العابر للحدود، وتعكس إدراك الطرفين أن الاتجار بالمخدرات لم يعد مسألة محلية، بل تحديًا إقليميًا يتطلب تعاوناً مستدامًا ومقاربات أمنية مستمرة.

مفارقة التدخل الأجنبي

لا يُعدّ التدخل الأجنبي في الجنوب السوري ظاهرةً حديثة العهد؛ إذ لطالما مارست الجهات الفاعلة الإقليمية والدولية دورًا مؤثرًا في المنطقة، وأفضى تدخلها في كثير من الأحيان إلى تفاقم حالة عدم الاستقرار. ويُنتج هذا الواقع معضلةً بنيوية، يواصل فيها التدخل الخارجي — على الرغم من قدرته على زعزعة الاستقرار — الاضطلاع بدور مركزي في أي نهج مقترح لتحقيق الاستقرار في الجنوب. وفي سياق المرحلة الانتقالية في سوريا، برز مساران أساسيان، يركّز كل منهما على جهة خارجية بعينها ويطرح إمكانية الحد من عدم الاستقرار واستعادة قدر من النظام في الجنوب: إعادة انتشار محتملة للقوات الروسية في الجنوب السوري، واحتمالات التوصل إلى اتفاق أمني سوري–إسرائيلي بوساطة أمريكية. ويحمل كل من هذين المسارين قيودًا بنيوية على السلطات السورية، كما يعكس في الوقت ذاته الحوافز والقيود والتفضيلات الاستراتيجية للجهات الفاعلة المحلية والإقليمية والدولية ذات الصلة.

محادثات سورية-إسرائيلية بوساطة أمريكية

في حزيران/يونيو 2025، أبلغ رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو المبعوث الأمريكي توم باراك عن رغبته في التفاوض على اتفاق أمني محدث يستند إلى اتفاقية الانسحاب لعام 1974، بهدف طويل الأمد مفاده التوصل إلى معاهدة سلام مع سوريا.[111] تحت ضغط الولايات المتحدة، سرّعت دمشق المحادثات مع تل أبيب للتوصل إلى اتفاق أمني.[112] بحلول منتصف أيلول/سبتمبر، قدمت إسرائيل إلى سوريا اقتراحاً مفصلاً لاتفاق جديد، بما في ذلك خريطة تحدد المناطق المقترحة لنزع السلاح الممتدة من الضواحي الجنوبية الغربية لدمشق إلى الحدود الإسرائيلية. على الرغم من عدم

105 Joseph Daher, Nizar Ahmad, and Salwan Taha, Smuggling between Syria and Lebanon, and from Syria to Jordan".

106 تلفزيون سوريا، «الأردن تسلّم سوريا جثامين ثلاثة شبان قُتلوا في أثناء عملية تهريب عبر الحدود»، 16 تشرين الثاني/نوفمبر 2025، متاح على:

https://tinyurl.com578/rc53a

107 المرجع نفسه.

108 مقابلة مع ناشط محلي، درعا، 2023.

109 مديرية الأمن العام، «إدارتا مكافحة المخدرات في الأردن وسوريا تصدران بيانًا مشتركًا وتؤكّدان على العمل المشترك والتنسيق لمواجهة آفة المخدرات»، 5 تشرين الأول/أكتوبر 2025، متاح على:

https://tinyurl.com35/x4sca4

110 مديرية الأمن العام، «إدارتا مكافحة المخدرات في الأردن وسوريا تصدران بيانًا مشتركًا وتؤكّدان على العمل المشترك والتنسيق لمواجهة آفة المخدرات»، 5 تشرين الأول/أكتوبر 2025، متاح على:

https://tinyurl.com35/x4sca4

111 Barak Ravid, "A Scoop: Netanyahu Asks U.S. to Broker Israel-Syria Negotiations", Axios, 11 June 2025, https://tinyurl.com/2s9h8ryr

112 Reuters, "Under US Pressure, Syria and Israel Inch Toward Security Deal", 16 September 2025, https://tinyurl.com/4r4dmx98

الكشف عن الشروط الكاملة بعد، تشير تقارير وسائل الإعلام إلى أن الاقتراح يتصور تقسيم المنطقة الجنوبية الغربية من دمشق إلى ثلاثة مناطق، يسمح في كل منها لسوريا بالحفاظ على مستويات متفاوتة من الوجود العسكري وأنواع الأسلحة. وتنص الخطة على إنشاء منطقة حظر طيران للطائرات السورية في كامل المنطقة الممتدة من جنوب غرب دمشق إلى الحدود الإسرائيلية. وفي المقابل، اقترحت إسرائيل الانسحاب التدريجي من جميع الأراضي السورية التي احتلتها في الأشهر الأخيرة، باستثناء موقع متقدم على سفح جبل الشيخ.[113]

وتلا ذلك العديد من المناقشات غير معلنة بين المسؤولين السوريين والإسرائيليين، بما في ذلك اجتماع ثلاثي عقد في باريس في 19 آب/أغسطس 2025 بين وزير الخارجية السوري أسعد الشيباني،[114] ووزير الشؤون الاستراتيجية الإسرائيلي رون ديرمر، والمبعوث الأمريكي الخاص إلى سوريا توم باراك، تلاه اجتماع آخر في لندن في 17 أيلول/سبتمبر.[115] قد يفضي التوصل إلى اتفاق أمني بوساطة أمريكية إلى الحد من النشاط العسكري الإسرائيلي في الجنوب، ويشير إلى استعداد دمشق للانخراط في تعامل بنّاء مع جيرانها. وسيكون تأثيره كبيرًا بشكل خاص إذا قامت الولايات المتحدة بدور المراقب، إذ تشير التقارير إلى احتمال إنشاء قاعدة عسكرية أمريكية في دمشق، تقع في موقع استراتيجي عند بوابة الجنوب.[116] علاوة على ذلك، من المرجح أن ترحب الولايات المتحدة باتفاق أمني بين سوريا وإسرائيل، ما قد يؤثر بدوره في سياسة واشنطن في جبهات أخرى، لا سيما فيما يتعلق بالعقوبات وإعادة الإعمار.

غير أن التقارير أفادت بأن المفاوضات واجهت عقبات بعد رفض سوريا طلبًا إسرائيليًا بإنشاء ممر إنساني إلى محافظة السويداء، بحجة أن ذلك يشكّل انتهاكاً لسيادتها.[117] وفي المقابل، صرح الرئيس السوري المؤقت أحمد الشرع في 20 أيلول/سبتمبر أن اتفاقًا مشابهاً لاتفاق عام 1974 قد يُبرَم قريبًا، مؤكدًا أن ذلك لا يعني تطبيعًا مع إسرائيل.[118] وفي السياق ذاته، أكد المبعوث الأمريكي باراك في 24 أيلول/سبتمبر أن سوريا وإسرائيل على وشك التوصل إلى اتفاق لخفض التصعيد.[119] وعقب اجتماعه مع الرئيس دونالد ترامب في البيت الأبيض في تشرين الثاني/نوفمبر 2025، صرح الرئيس الشرع أن الرئيس الأمريكي يدعم موقف سوريا بشأن انسحاب إسرائيل من جميع الأراضي التي احتلتها في جنوب سوريا بعد سقوط نظام الأسد.[120] وفي حين يعزز هذا التأييد النفوذ الدبلوماسي لسوريا ويعكس قدرًا من التأييد الدولي، تشير التقارير إلى أن المحادثات السورية الإسرائيلية قد تعثرت، ولا تزال إسرائيل مترددة في المضي أبعد من الانسحابات المحدودة في غياب اتفاق سلام شامل.[121] يشي هذا الاستعصاء بين مطالب سوريا المدعومة من الولايات المتحدة واستعداد إسرائيل المحدود للتنازل بأنه من غير المرجح التوصل إلى اتفاق أمني شامل بين إسرائيل وسوريا في المستقبل القريب.[122]

آفاق عودة روسيا إلى الجنوب

تزامن تعثر المحادثات الإسرائيلية-السورية المدعومة من الولايات المتحدة مع فتح مسار موازٍ يمر عبر روسيا. منذ سقوط نظام الأسد وانسحاب القوات الروسية من الجنوب السوري، سعت السلطات السورية الجديدة بحذر إلى استعادة العلاقات مع روسيا. عقب زيارة وزير الخارجية الشيباني إلى موسكو في تموز/يوليو 2025،[123] أفادت مصادر روسية عن اهتمام دمشق باستئناف الشرطة العسكرية الروسية دورياتها في الجنوب.[124] وزاد لقاء الرئيس المؤقت الشرع بالرئيس فلاديمير بوتين في موسكو في تشرين الأول/أكتوبر

113 Barak Ravid, “Scoop: Israel Presented Syria with Proposal for New Security Agreement”, Axios, 16 September 2025, https://tinyurl.com/yy7tbsde

114 Reuters, “Syrian Minister Met Israel’s Dermer for Talks on Regional Stability”, 20 August 2025, https://tinyurl.com/mvzmxks8

115 وكالة شمال برس، «الشيباني وديرمر يبحثان الاتفاق السوري الإسرائيلي في لندن»، 16 أيلول/سبتمبر 2025، متاح على:

https://tinyurl.com/re55v5fj

116 Reuters, “Exclusive: US Military to Establish Presence at Damascus Airbase, Sources Say”, 6 November 2025, https://tinyurl.com/5n77zehu

117 Times of Israel, “Israel-Syria Talks Said to Hit Snag over Israeli Demand for Humanitarian Corridor to Druze”, 17 September 2025, https://tinyurl.com/y9dj9zfe

118 العربية، «الشرع: اتفاق مع إسرائيل بوساطة أميركية قد يُوقّع قريبًا»، 20 أيلول/سبتمبر 2025، متاح على:

https://tinyurl.com3/h74df3z

119 Haaretz, “Syria and Israel Close to ‘De-escalation’ Agreement, U.S. Envoy Says”, 24 September 2025, https://tinyurl.com/3ppzc5h2

120 The Washington Post, “Syrian President Details Plans to Work with Americans He Once Fought”, 11 November 2025, https://tinyurl.com/3ctevpwx

121 Times of Israel, “Report: Israel-Syria Talks at Dead End, with Jerusalem Only Willing to Withdraw Troops for Full Peace Deal”, 17 November 2025, https://tinyurl.com/juden7kk

122 Times of Israel, “Israel and Syria Won’t Sign Security Agreement Any Time Soon, Israeli official says”, 19 November 2025, https://tinyurl.com/42bp2ujm

123 مجلة، «وفد سوري رفيع في روسيا... أفق الزيارة ورسائلها»، 2 آب/أغسطس 2025، متاح على:

https://tinyurl.com5/bpdtadw

124 Kommersant, “Syria is Missing Russian Troops”, 11 August 2025, https://tinyurl.com/2rbch6rr

من التكهنات حول احتمال إعادة انتشار القوات الروسية ودورها المحتمل.[125] من شأن تجدد الوجود الروسي في الجنوب أن يوفر للسلطات السورية نفوذاً للحد من النشاط العسكري الإسرائيلي، لا سيما في ظل توقف المفاوضات بين سوريا وإسرائيل. وقد تأكدت هذه النية من خلال جولة ميدانية قامت بها وفود عسكرية روسية في جنوب سوريا في 17 تشرين الثاني/نوفمبر 2025، عقب زيارة إلى دمشق والاجتماع مع قيادات وزارة الدفاع السورية،[126] ما يشير إلى مناقشات أولية حول تجدد الدور الروسي في الجنوب.

يتقاطع سعي سوريا المحتمل لإعادة انتشار القوات الروسية في الجنوب مع مصالح وحسابات جهات فاعلة إقليمية ودولية أخرى. أما بصدد إسرائيل، يخدم تجدد الوجود الروسي في جنوب سوريا أغراضًا استراتيجية متعددة. أولاً، يزيد من قدرة إسرائيل على المناورة في الاستجابة للضغوط الخارجية – لا سيما في إطار المسار الذي تتوسط فيه الولايات المتحدة – للانسحاب من المناطق التي تحتلها منذ كانون الأول/ديسمبر 2024. ثانيًا، توفر روسيا لإسرائيل محاورًا يمكن التحكم فيه والتنبؤ بسلوكه، وقادرًا على الحفاظ على الهدوء على طول هضبة الجولان، استنادًا إلى سابقة تاريخية؛ إذ يعود التنسيق الروسي–الإسرائيلي بشأن الترتيبات الأمنية في الجنوب إلى عام 2018 على الأقل، حين توسطت موسكو في ترتيبات سمحت لقوات نظام الأسد بالعودة إلى المناطق القريبة من الحدود، شريطة استبعاد القوات الإيرانية.[127] ويمكن إحياء هذا الإطار العام وتكييفه مع الظروف الراهنة. ثالثًا، يسهم الدور الروسي في سوريا في مساعدة إسرائيل على مواجهة النفوذ التركي –[128] وهو هدف استراتيجي دفع إسرائيل إلى الضغط على الولايات المتحدة من أجل استمرار الوجود الروسي منذ أوائل عام 2025.[129] ومع ذلك، ورغم أن الدور الروسي قد يسهم في كبح الأنشطة العسكرية الإسرائيلية، فمن غير المرجح أن يمنح دمشق سيطرة غير مقيدة أو يسمح بعودة كاملة لقواتها العسكرية، إذ يُتوقع أن تصر إسرائيل على الإبقاء على جنوب منزوع السلاح.[130] وفي المقابل، يُرجح أن تحافظ روسيا على موطئ قدمها العسكري القائم في المنطقة الساحلية، وأن تطالب بمكاسب اقتصادية داخل سوريا.

على الرغم من التنافس السابق مع روسيا في سوريا، وجدت تركيا مجالاً للتفاوض والتنسيق على أساس الاعتراف المتبادل بالمصالح الأمنية.[131] اليوم، يشدد كلا الطرفين على سيادة سوريا وسلامة أراضيها.[132] على الرغم من ضآلة النفوذ التركي في الجنوب، قد تؤيد أنقرة دورًا روسيًا متجددًا لردع الأنشطة العسكرية الإسرائيلية في المنطقة. من جانبها، لطالما رأت الأردن في الوجود الروسي عاملاً مساعدًا على الاستقرار. يعود تنسيق عمّان مع موسكو إلى عام 2015،[133] حين أنشأتا مركز مراقبة مشترك لتبادل المعلومات الاستخباراتية وتجنب التضارب في الأنشطة العسكرية في جنوب سوريا. بعد عودة نظام الأسد إلى المنطقة في عام 2018، وصف الملك عبد الله الثاني دور روسيا بـ«مصدر للتهدئة».[134] كما عملت الولايات المتحدة في السابق مع روسيا في التوسط لوقف إطلاق النار في عام 2017 ومذكرة المبادئ التي سعت إلى استبعاد القوات الإيرانية والمتطرفة من المنطقة الجنوبية.[135] من وجهة نظر الولايات المتحدة، قد تكون عودة روسيا إلى الجنوب السوري بمثابة آلية استقرار مؤقتة وقد تدعم

125 باسل محمد، «هل تعود الدوريات العسكرية الروسية إلى جنوب سوريا؟»، الجزيرة، 29 تشرين الأول/أكتوبر 2025، متاح على:
https://tinyurl.com3/ktehrdy

126 الشرق الأوسط، «وفد عسكري روسي يجري جولة استطلاعية في القنيطرة السورية»، 17 تشرين الثاني/نوفمبر 2025، متاح على:
https://tinyurl.com37/pxftnu

127 DW, "Israel, Russia Team Up to Keep Iran Out of Syria Border Region", 29 May 2018, https://tinyurl.com/mutu3axb

128 Emadeddin Badi and Abdullah al-Jabassini, "Turkey's Syria and Libya Strategies Add Up to a Mediterranean Power Play", Atlantic Council, 13 January 2025, https://tinyurl.com/35c7chaf

129 Reuters, "Exclusive: Israel Lobbies US to Keep Russian Bases in a 'Weak' Syria", 28 February 2025, https://tinyurl.com/5mdxawj9

130 BBC News, "Israel Demands Complete Demilitarisation of Southern Syria", 14 November 2025, https://tinyurl.com/2facjfx4

131 Abdullah Al-Jabassini and Emadeddin Badi, "The Making of Rivals and Strange Bedfellows: Patterns of Turkish and Russian Security Assistance in the Syrian and Libyan Civil Wars," *Mediterranean Politics* 4, no. 4 (2023): 1–27, https://doi.org/10.1080/13629395.2023.2183663

132 The Ministry of Foreign Affairs of the Russian Federation, "Press release on Foreign Minister Sergey Lavrov's meeting with Minister of Foreign Affairs and Expatriates of the Syrian Arab Republic Asaad al-Shaibani", 25 September 2025, https://tinyurl.com/5aan2abv; Republic of Türkiye Ministry of Foreign Affairs, "Joint Statement on Recent Developments in Syria", 17 July 2025, https://tinyurl.com/mpu5x5s2

133 Jordan Times, "Jordan, Russia Set Up Mechanism of Military Coordination Concerning South Syria," 24 October 2015, https://tinyurl.com/5e8rubma

134 الديوان الملكي الهاشمي، «الملك في مقابلة إعلامية مع معهد هوفر: العلاقة مع الولايات المتحدة مؤسسية ومبنية على الثقة»، 18 أيار/مايو 2022، متاح على:
https://tinyurl.com4/pnht3b4

135 Reuters, "U.S.-Russian Ceasefire Deal Holding in Southwest Syria", 10 July 2017, https://tinyurl.com/4c73tnc3; U.S. Department of State, "Background Briefing on the Joint Statement by the President of the United States and the President of the Russian Federation on Syria", 11 November 2017, https://tinyurl.com/46f482ys

جهودها لتحقيق الاستقرار في الجنوب،[136] لا سيما أن التوصل إلى اتفاق شامل بين إسرائيل وسوريا لا يزال بعيد المنال.

القيود الداخلية ومسارات الاستقرار

ينطوي كل مسار من المسارين على قيود متأصلة. تعكس شروط الاقتراح الإسرائيلي دينامية غير متكافئة، حيث تحدد أجندة إسرائيل الأمنية نطاق سيادة الدولة وتقيد وجودها العسكري والأمني في جنوب سوريا. علاوة على ذلك، مع غياب اتفاق سلام شامل، من المرجح أن يسفر أي اتفاق أمني عن انسحاب إسرائيلي محدود من المناطق المحتلة منذ كانون الأول/ديسمبر 2024، كما ذكرنا سابقًا.[137] ربما لا يكون هذا التباين مفاجئاً، إذ إن ضعف سوريا العسكري الحالي وعدم رغبتها في الدخول في مواجهة عسكرية يحدان من خياراتها وقدرتها على التفاوض. وإذا قُبِل الاتفاق المقترح من دون تعديلات، فقد يقلل من الغارات الجوية والبرية الإسرائيلية؛ لكن ستظل سيطرة الدولة في الجنوب مقيدة. لذلك، يتعين على الولايات المتحدة الضغط من أجل شروط أكثر ملاءمة تعزز السيادة السورية وتضمن ترتيبات أمنية أكثر توازنًا.

من ناحية أخرى، قد يقلل الاعتماد على روسيا النشاط العسكري الإسرائيلي في الجنوب، لكنه سيخلق وضعًا جديدًا في المنطقة، ويترك تشظي السلطة وتقييد نطاق العمل المؤسسي الحكومي دون حل. في الواقع، ينطوي هذا المسار على مقايضة السلطة بدرجة من الاستقرار بالوساطة، دون ضمان السيطرة السورية الكاملة على العمليات العسكرية والأمنية، ما يجعل التوازن هشاً وربما غير مستدام. علاوة على ذلك، تعني أجندة روسيا الإقليمية والدولية الأوسع نطاقًا أن التزامها بأولويات سوريا الأمنية قد يظل ثانويًا، كما أن تراجع وجودها ونفوذها في جنوب سوريا منذ اندلاع الحرب في أوكرانيا عام 2022 يوضح هشاشة هذا الاعتماد.

في كلا المسارين، من المرجح وجود رفض داخلي. فشرائح كبيرة من الشعب السوري، المتشككة أصلاً في النفوذ الأجنبي، قد لا تعتبر الاتفاق الأمني المقترح مع إسرائيل – إذا قُبِل بلا تغييرات – اتفاقًا متبادلاً، بل اتفاق إذعان واستسلام. وبالمثل، قد يثير الاعتماد على روسيا استياء بعض السوريين، لا سيما في الجنوب، حيث لا تزال ذكريات تدخلاتها العسكرية السابقة ودعمها للنظام السابق وحمايتها للرئيس المخلوع بشار الأسد وعائلته حساسة. مع ذلك، لا يستبعد أي من المسارين الآخر؛ فقد تسعى السلطات السورية إلى الجمع بينهما، بالاعتماد مؤقتاً على التدخل الروسي للحد من الأنشطة العسكرية الإسرائيلية في الجنوب، مع الاستمرار في المفاوضات مع إسرائيل المدعومة من الولايات المتحدة بشأن ترتيبات أمنية أكثر ملاءمة. وقد يوفر المزج المتوازن بين المسارين طريقًا عمليًا، وإنْ كان هشاً، لإعادة إرساء قدر من الاستقرار في الجنوب، شريطة إدارة المخاوف المحلية والديناميات الإقليمية بعناية.

وبكل الأحوال، لا يمكن الاعتماد على الوساطة الخارجية وحدها لحل التحديات الأمنية البنيوية الأعمق في الجنوب. فالاستقرار الدائم يتطلب الانخراط مع الجهات الفاعلة المحلية للتفاوض على ترتيبات أمنية موثوقة تراعي السياق، وإعادة بناء الثقة في مؤسسات الدولة، ومعالجة المظالم التي غذت المقاومة للسلطات الجديدة. إذا غابت هذه الآليات الشاملة والمستندة إلى الواقع المحلي، فإن الحلول المفروضة من الخارج قد يُنظر إليها على أنها غير شرعية، وتعزز الشكوك تجاه الدولة والجهات الخارجية الداعمة، ويخلق فرصًا لظهور المخربين. أيًا كان المسار المعتمد في نهاية المطاف، سيظل الجنوب رمزًا لمفارقة مستمرة: التدخل الأجنبي هو في آن محرك للاضطراب وعامل لازم لتحقيق أي استقرار حقيقي.

الخلاصة

تركت سنوات من الحرب والتفكك وشبكات السلطة المحلية الراسخة الجنوبَ السوري في مواجهة تحديات أمنية مستمرة ومعقدة. ينبع معظم عدم الاستقرار هناك من إرث نظام الأسد، بإدارته المنطقة من خلال الإكراه والتلاعب والإهمال. لم يؤد سقوط النظام تلقائيًا إلى الاستقرار؛ بل أعاد صياغة التحديات القائمة، وترك بعضها مستمرًا، بل خلق تحديات جديدة أيضًا. في القنيطرة، تُقَيّد الهيمنة الإسرائيلية قدرة الدولة على ممارسة سلطتها. وفي درعا، لا يزال العنف المحلي يشتعل بين الفينة و الأخرى – يغذيه في المقام الأول السلاح المنفلت والشبكات المسلحة المتشرذمة. وفي السويداء، جاءت جهود سحب السلاح القسري بنتائج عكسية في أعقاب التدخل الإسرائيلي، وعززت الاستقلالية المحلية ونفوذ الجهات المسلحة المحلية. تُظهر هذه الاختلافات أن الاستقرار لا يمكن أن يعتمد على السيطرة المركزية أو التدابير القسرية وحدها، نظرًا لتنوع طبيعة التحديات وصعوبة تطبيق حلول موحدة.

ينطوي التدخل الأجنبي في الجنوب السوري على مفارقة. فالأعمال الإسرائيلية تقيد سلطة الدولة؛ وإعادة الانتشار المحتملة لروسيا توفر سبلاً للتخفيف من عدم الاستقرار مع المخاطرة بالارتهان لها؛ والمحادثات السورية-الإسرائيلية المدعومة من الولايات المتحدة يمكن أن تحد من الصراع ولكنها ترسخ علاقات قوة غير متكافئة. في جميع الحالات، يظل الجنوب منطقة تتشكل بفعل التأثير الخارجي. تتطلب الإدارة الفعالة الاستفادة من الدعم الأجنبي للحد من التهديدات المباشرة مع إعادة بناء السلطة المحلية في الوقت نفسه من خلال التفاوض والتسوية وإدماج الأطراف الفاعلة

136 Syrian Arab News Agency, “Full Roadmap Script: Syria, U.S., Jordan Outline Sweida Deal to End Conflict,” 16 September 2025, https://tinyurl.com/2dyamxb8

137 Times of Israel, “Report: Israel-Syria Talks at Dead End, with Jerusalem Only Willing to Withdraw Troops for Full Peace Deal”, 17 November 2025, https://tinyurl.com/juden7kk

المحلية. يجب أن يكون تعامل السلطات الجديدة مع القوى الخارجية مكملاً لعمليات بناء الثقة مع المجتمعات المحلية، لا بديلًا عنها. يجب أن يوفق أي نهج مستدام بين سلطة الدولة والإرادة المحلية، لا سيما حين يخلق التدخل الأجنبي تبعيات جديدة أو اختلالات، وأن يُسخِّر الوساطة لتخفيف التوترات واستعادة قدرة الدولة. يعتمد النجاح في الجنوب على استراتيجيات براغماتية ومرنة توازن بين الإكراه والحوار وتدمج القدرات الخارجية والمحلية لإرساء نظام راسخ الأركان.

مبادرة الإصلاح العربي

مبادرة الإصلاح العربي مؤسسة بحثية رائدة للبحوث الفكرية المستقلة، تقوم، وبشراكة مع خبراء من المنطقة العربية وخارجها، باقتراح برامج واقعية ومنبثقة عن المنطقة من أجل السعي إلى تحقيق تغيير ديمقراطي وعدالة اجتماعية. تقوم المبادرة بالأبحاث السياسية، وتحليل السياسات، وتقدم منبراً للأصوات المتميّزة وتلتزم في عملها بمبادئ الحرية والتعددية والمساواة بين الجنسين.

contact@arab-reform.net
باريس - بيروت - تونس